

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ - الموافق ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٢١

سبنسر وفلسفته

تمهيد

أقل ما ينتظره منا قراء المقتطف ان نفي سبنسر حقه من الوصف وفلسفته حقها من التبيين لاسيا وان أكثر الذين كتبوا في المواضيع الفلسفية والاجتماعية والطبيعية منذ اربعين عاماً الى الآن كانت كتب سبنسر مرشداً لم اولاد الذين ارتشدوا بهم . ولا يعد اننا كنا نحذو حذوهم مراراً كثيرة اما باعتبارنا على ما رسخ في ذهننا من مطالعة كتب سبنسر او على كتاب نقلوا عنه او حذوا حذوه فله على المقتطف فضل لا ينكر . ولم تصد قبل الآن لكتابة شيء سبب عن فلسفته بنوع خاص لان الخوض فيها غير وتصفح كتبه بالامعان ليس مما يرتاح اليه كثير الاشغال لوعورة ما كتبها وصعوبة اسلوبها . الا اننا عثرنا في هذه الايام على كتاب مختصر لاحد مرنديه (١) وصفه فيه وصفاً دقيقاً ونظروا فلسفته تلخيصاً وافياً بالمراد . فالتخذناه دليلاً في كتابة الفصول التالية وقد بسطناها بسطاً يقربها من اذهان جمهور القراء الذين لم يألفوا المباحث الفلسفية

حال العلم والفلسفة حينما قام سبنسر

كانت اوربا جارية بحرى بلاد الشرق في هذه الايام من حيث العقائد والعادات وكان العقل مقيداً بقيود التقليد اذا حاول فكها رُشقي بالكفر والحرامات فنهض رجال الثورة الفرنسية وكسروا تلك القيود وهدموا مباني الفلسفة القديمة والعقائد التي تملك النفوس قروناً كثيرة فسدت انقاض ما هدموه سبل العقول وكادت تعيد الناس الى المهجبة لولا ان العلماء

(١) هو المستر مكفرصن مؤلف كتاب كارليل وادم سمث

الذين هدموا حاولوا البيان ايضاً فان ثورات وديدر و اخراهما احتموا باكتشاف حقيقة الانسان وما تأول اليه حاله بعد الموت حتى يضعوا له قواعد وفرائض بدل الاحكام الدينية التي تقضوها . الا ان معارف الناس كانت قليلة جداً حينئذ لا تكفي لتكون اساساً لما ارادوا ببيانها . وكل علم لا يبني على اساس وجيد لا يثبت . وزد على ذلك ان العقائد القديمة كانت راسخة في النفوس حتى ان اولئك العلماء ادمجوها في ما ارادوا ان يجعلوه مستقلاً عنها . ومع ذلك لم يفضل لا ينكر في انهم نقضوا كثيراً من الاوهام والخرافات وعنقوا العقل من قيود الاستبعاد ومهدوا السبل للذين جاؤا بعدهم وشأنهم شأن من يهدم بناءً قديماً ويزيل انقاضه من الارض ويبنيها لبناءً جديد يبنى مكانه

وقد قام هذا البناء الجديد وُضع اساسه في منتصف القرن التاسع عشر وهو الاكتشاف العظيم الذي اوضحه سبنسر ودارون وجارها وولس وهيكل الأ وهو ناموس النشوء ناموس تولد الموجودات بعضها من بعض جرياً على سنة ثابتة لا تتغير . الناموس الشامل لكل شيء حياً كان او غير حي ولكل رأي وعقيدة ومذهب ونظام ولغة وعمل وصناعة . بل كل انسان مهما كانت طبقة ناشئاً جدياً وعقلاً حسب ناموس النشوء ولو اجتمعت القوى التي ولدتها والمواد التي تولدت منها في مكان مثل مكانه لولدت انساناً آخر مثله . هذا هو الناموس الذي لسبنسر اليد الطولى في ايضاحه واقامة الادلة على تأييده وتطبيق احوال الناس عليه وهو اساس فلسفته كما سيحي

ولد سبنسر في السابع والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٢٠ وكان ابوه معلماً وقد عرف بالاخبار ان شمن المعارف في عقول الصغار ليس منه كبير فائدة فلم يهتم بتعليمه صغيراً ففاته المعارف التي تقتضي حفظاً وتمرناً لكنه برع في ما يتدعي استعمال العقل وما يدعو الى درس الطبيعة كجمع الحشرات وتربية الفراش والديدان . وكان لايه واعمامه نظري في المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية فكانوا يتذكرون فيها امامه غير مقيدين بقيود التقليد . ثم ان والديه كانا على مذهب واحد ديني وهو مذهب المثودست^(٢) فقال ابوه الى مذهب آخر واعتنقه وبقيت امه على مذهبها ولا بد من ان يكون قد سمعها يتناظران في افضلية كل من المذهبين على الآخر وراها يتساهلان فيهما لانه كان يتبع اياه في صباح الاحد الى كنيسة وانه في مسائه الى كنيسة اخرى وها راضيان بذلك . وزرع ابيه عن مذهب ولده فيه الى مذهب آخر اضعف سلطة المذاهب الدينية من نفسه فشب غير مقيد بقيودها ولا يدرك ما يشعر به غيره من الذين ربوا تحت سلطتها

(٢) فرقة من البروتستانت منشرة في انكلترا واميركا

ولما بلغ الثالثة عشرة من العمر اتُّمن عمه على تعلُّمه وكان قفاً من قسوس الديانة ومن حزب الاحرار المتطرفين المهيبين على الحكومة المنتهزين للشعب عليها وكان من تلامذة كبردج ومن انبغهم فجعل سينسر يعلم منه وكان ضعيف الذاكرة ينغم من الدروس القانونية وبكره درس اللغات واذا حفظ منها شيئاً اليوم نسبة في الغد اما الدروس التي تقتضي استعمال قوة الادراك والحكم والقياس فبرع فيها وفاق اقرانه في الرياضيات وعلم الآلات وشغف بالمبادئ العلمية ومحبة البحث والتحليل

وكان عمه يود ان يُعده للدرس في مدرسة كبردج الجامعة فلما رأى منه ذلك عدل عن عزمه وتركه يجرى في الدرس حسب هواه فغسر بذلك نصرة ابناء المدارس له وكسب عداهم لانه لو ربي في مدرسة من مدارسهم الكبرى لانتصر له ابناءها وشاعت آراؤه باسرع مما شاعت . ولكنه لو فعل ذلك لالف الطريقة المدرسية على الراجح ولم يتجر من كل قيود التقليد

ولما شب ولم يكن قد تعلم حرفة ولا استعداداً لتعلم حرفة سعى ابوه له لجعل مساعداً للمعلم مدرسة وكان اهلاً للنجاح في حرفة التعلم لانه كان مقتدرًا على ايضاح المعاني وتبيين المقاصد على اسلوب قريب المأخذ . هذا في الكلام اما في الكتابة فاسلوبه دقيق ولا يسهل ادراكه الا على من مارسه . ولكنه لم يبق في حرفة التعلم طويلاً بل عرض عليه ان يكون مهندساً لفرع من سكة الحديد التي بين لندن وبرمنهام فاقام ثلثي سنوات مهندساً واهتم بعلم الهندسة وكتب مقالات كثيرة فيه نشرها في جرنال الهندسة المدنية . واستنط آلة تقاس بها سرعة القاطرات . ثم ضعفت شركات سكة الحديد فقل الطلب على المهندسين فخرج من منصبه وعمره ٢٦ سنة وعاد الى بيته ولا عمل له ولكن كان عقله قد تخطى حدود الهندسة الى علم سياسة البلدان فانثا مقالات شتى موضوعها ماهية الحكومة ونسبتها الى الامة . واكثر من الدرس والبحث ولكن الدرس لا يشبع الجوف فرأى ان لا بد له من ان يتعاطى عملاً يكتب به ما يقوم بميسته فالنتف الى الصحافة ودعي ليكون محرراً ثانياً في جريدة الايكونوميست (المقتصد) وكان ذلك سنة ١٨٤٨ فانقل الى مدينة لندن وبقي في تجريبها الى سنة ١٨٥٣ وكان قد قرأ كتاب ليكل الجيولوجي في مبادئ الجيولوجيا وعمره عشرون سنة وسلم بما علم به ذلك المعلم الكبير وهو ان الموجودات الارضية نشأت بعضها من بعض ولم يخلق كل نوع منها على حدة . لكنه لم يكن يفهم كيف حدث هذا النشوء ولا ما هي حقيقته وكان العلم الطبيعي قد سلم الناس مقاليد بعض القوى الطبيعية وسهل لهم اسباب الغنى

فضعوا لضوائحه واضطرَّ علماء الدين ان يكفروا عن مقاومتهم بل صار المطلب المبني على العلم
الجميع يستنبروا بنبراسه ويستعينوا بمكتشفاته . وأثنى مجمع ترقية العلوم البريطاني فصار
كعبة العلماء يحجون اليها كل عام وكثر نشر الكتب العلمية واعتمدت الصناعة على العلم فكثرت
المكتشفات والمخترعات وتشتعت المذاهب والآراء لان فريقاً من الناس لا يقتصر على الماديات
بل يطلب معها الادبيات ولولا ذلك لالتفت الماديات على الادبيات ستاراً كثيفاً وضوئاً نور
العلم واحجب عن الابصار

وكانت كتب الفيلسوف كُنت قد انتشرت واقبل الناس على مطالعتها ثم ظهر كتاب
هوبول في تاريخ الفلسفة وكتاب الكون لمسلت فجعل العقلاء يقرأون هذه الكتب ويتساءلون
عن حقيقة هذا الكون وما فيه . ولم يكن قد عُرف شيء مما يعرف الآن بحفظ القوة وتغير
الانواع ونشوء الموجودات الآلية ولا من ماهية الحرارة وكونها ضرباً من الحركة ولا كان
الرأي الحويصلي^(٣) معروفاً الا في المانيا لكن كان العقلاء يتفكرون في هذه المواضيع كلها ولا يعوزهم
الا الكلام الوضعي للتعبير عنها

وكان جمهور الناس يحسب ان الانسان خلق كما نصت التوراة على خلقه وكذلك سائر
الموجودات وجدت كما جاء عنها في الفصل الاول من سفر التكوين حتى ان كبار العلماء الذين
عرفوا من نواميس الكون اكثر مما عرف غيرهم بقوا مستمكين بهذه العقيدة يحمون بيتها وبين
ما كاشفتهم الطبيعة به من اسرارها . ولم يكونوا يرون صلة بين العلوم المختلفة ولا يحسبون انها
ناشئة بعضها من بعض بالارتقاء المستمر فلما ظهر من مكتشفات العلوم الطبيعية ان وجود الكون
لا ينسر على ما في سفر التكوين قال الناس ان العلم والدين خصمان لا يتفقان وعصر على العقلاء
تعليل وجودها معاً ونسبة كل منهما الى الآخر فقام الفيلسوف كُنت وبين نسبة العلوم الدينية
الى العلوم الطبيعية في ارتقاء الانسان واظهر مزية العلوم الطبيعية لانها تعتمد على الملاحظة
والامتحان ثم بين ان العلوم كلها حلقات متصل بعضها ببعض ومبني بعضها على بعض لكن
اخطأ في انه اوجب قصر البحث على المعلولات ولم يلتفت الى العلة حاسباً ان البحث عنها من
قبيل البحث ولا اهتم بالفروض التي تعلل بها الظواهر الطبيعية فاعتبر في حكم الجهول جانباً
كبيراً مما يمدد الآن في حكم المعلوم . ولو قال بالعلّة الفاعلة في كل المعلولات وهي القوة التي لا
نزول ولا تنقص بل تتحوّل المادة من صورة الى اخرى وتحوّل معها من شكل الى آخر لخل
محل مبسر وسبقه الى فلسفته

(٣) يراد به تكون النسبة الحيوان والنبات من حوصلات دقيقة

وجملة القول ان الناس كانوا ينظرون الى الكون قبل مبسر كأنه آله كبيرة جداً صنع كل جزء منها على حده وأحكم صنعه لغاية واحدة قائمة في عقل الصانع الاعظم مدير الكون لا في مادة الآلة نفسها . ولم يحسبوا ان الوحدة موجودة في هذه الآلة ولا حسبوا انه يمكن اكتشافها لو كانت موجودة . حتى ان الفيلسوف جون ستورت مل كان يقول ان ما نحسبه من الضروريات قد لا يكون ضرورياً في عالم آخر فالاثان والاثان اربعة عندنا ولكن قد لا يكون مجموعها اربعة في عالم آخر . وليس من الضرورة ان ما يوجد الآن يكون موجوداً ولا ما يمنع الخالق من تغيير نظام الكون وقلب كل ما فيه رأساً على عقب وقتاً يشاء وان كل ما قيل عن العجائب والمعجزات ممكن اذا قامت الادلة على حدوثه^(٤)

هذا كان حال العلوم الطبيعية وتصور الناس لها حينما اخذ مبسر ينظر فيها . اما الفلسفة ويراد بها البحث عن حقيقة الموجودات كما يراد بالعلم الطبيعي البحث عن حالة الموجودات فكانت قد صارت مادية فيل الثورة الفرنسية وقال اصحابها انه لا يوجد شيء حقيقي الا المادة والقوة . هذا كان مذهب ديدرو واتباعه ويؤفسروا كل شيء من حركات الاجرام السماوية الى افعال النفس الانسانية . فلما ختم عصرهم بزواج الثورة الفرنسية افشعت فرائض الناس من مذهبهم ناسبين اليه كل ما حدث من الجرائم فطرحوا ما فيه من الصواب مع ما فيه من الخطأ وحسبوا ان كل مذهب مادي يؤول اخيراً الى نحو الدين والآداب والحكومات . ولا شبهة بوجود الخطأ في مذهب الماديين على ما كانوا عليه وفي ان له يد في تلك الجرائم لانه اعتبر الانسان آله صدرت من تجميع الدقائق المادية على اسلوب مخصوص . والعقل شعوراً مرتقياً من شعور العجاوات . والآداب صورة من طلب المنفعة الذاتية . والديانة نتيجة المواجه والتخيلات . والحكومة اتفاقاً بين الملوك الطغاة والكهنة الخنائين على استبعاد الشعب . فلما حدثت الثورة الفرنسية بفظاعتها تقوضت اركان الفلسفة المادية وجعل الناس يفكرون عن فلسفة اخرى او عن مبادئ اولية ينون احكامهم عليها ويشغلون عقولهم بها ويجعلونها اساساً ثابتاً للاحكام والنظامات الاجتماعية فوجدوا هذه المبادئ في المانيا في الفلسفة الروحية او الدينية . ولكن لم تكف الفوضى

(٤) وقد قال مكبر من ان مكلي جارى مل في ذلك والراخ في ذهننا ان مكلي لم يقل ان العجائب تبته بمجرد قيام الادلة على حصولها ولو خالفت نوايس الطبيعة بل قال انه اذا قامت الادلة القاطعة على حصولها لا تكون مخالفة لنوايس الطبيعة بل تكون من نتائجها اللازمة عنها فاذا قامت الادلة القاطعة على ان الشمس وقت ساعتين او على ان الارض وقت ساعتين لم تدرفنها على محورها فيكون ذلك لان حركات الارض والنظام الشمسي كونه تنضي وقوف الارض في الوقت الذي وقت فيه

نزول من فرنسا وتنتب الاحكام فيها تحت ملطة ما يعرف بالاتحاد المقدس حتى ضرب الجور والاستبداد اظلمها وصارت الاماكن التي كانت ملياً للتواريح محجاً للنفوس ورأى العقلاء ان هذه الفلسفة لا غرض لها الا حفظ النظمات القديمة وتأيد العقائد الشائعة واذا طولت بدليل لجأت الى ما تعده من البدييات والاوليات التي لا تحتاج الى دليل فرمها بسهام الانتقاد وزعزعوا اصولها وتجاوزوا الحد في ما نقضوه منها حتى ان امامهم الفيلسوف جون ستورت مل شك في كل شيء وانكر البدييات وقال ان كل علم متولد من الاختبار وفاته ان الاوليات الهندسية مثلاً يدركها الانسان بالبداهة ويقول بها قبل الاختبار وقبل الامتحان هذا كان حال العلم وحال الفلسفة حينما ظهر سينسر واخذ ينظر في الموجودات . وسببين كيفية نظره فيها في الفصل التالي

قلة المواليد واسبابها

كتب الدكتور بوشي الاميركي في مجلة العلم العام الاميركية مقالة موجزة في اسباب قلة المواليد قال فيها ان معدل مواليد الاسيركيين الوطنيين وخصوصاً المتخرجين من المدارس العالية آخذ في التناقص في بعض الولايات وانه توصل بعد البحث الطويل الى النتائج الآتية وهي اولاً ان معدل الزواج بين الاميركيين الوطنيين اقل منه بين الدخلاء وذلك الى سن ٤٥ ثانياً ان نسبة النساء المتزوجات اللواتي لم يلدن هي اكثر في الوطنيات منها في الاجنبيات ثالثاً ان معدل مواليد الوطنيات اقل من معدل مواليد الاجنبيات اي ان النساء الاجنبيات الاصل يلدن اكثر من النساء الوطنيات الاصل رابعاً ان من سنة ١٨٨٥ الى ١٨٩٧ كانت نسبة المتزوجات الوطنيات اقل من نسبة المتزوجات الاجنبيات وعليه فمعدل مواليد الاميركيين الوطنيين اقل من معدل مواليد الدخلاء وخصوصاً المهاجرين حديثاً ويظهر من ذلك لاول وهلة ان اميركا تكاد تشبه فرنسا في ان عدد مواليدها آخذ في التناقص والفرق بينهما ان مواليد كل اهالي فرنسا آخذ في التناقص واما في اميركا فالتقص محصور في مواليد الاهالي الذين طال عهدهم فيها ولقد اتصل الباحثون في موضوع المواليد الى معرفة بعض النوايس الجارية عليها واكثرها

مبني على تأثير الفواعل الطبيعية مما لا يمكن ان يصدق على المواليد الاميركية الا قليلاً . وقال البعض ان قلة المواليد تصير وراثية مع الزمن حتى يتقرض النسل لكن ذلك لا محل له في الولايات الاميركية لان شعوبها لا تنزل جديدة بالنسبة الى غيرها . واكبر سبب اقله النسل هو السبب الاجتماعي الذي يئنه السيد دومون احد علماء فرنسا وهو مبني على ما يشبه ناموس التنازع . ويان ذلك ان الشعوب المتحدة ولاسيا في الحكومات الجمهورية ميلاً شديداً الى تحسين احوالها المعاشية وحفظ مقامها في الهيئة الاجتماعية فينتج من ذلك الميل او الجهاد مباراة بين الطبقات المختلفة تقضي بتقليل النسل لانه اذا قل اولاد الانسان امكنه ان يتفق عليهم عن سعة اكثر مما لو كانوا اكثر اوعلى ذلك تكون عيشة المدن باعثاً على قلة النسل وتكون العيال في المدن اصغر منها في القرى والمزارع

وقبل البحث في ناموس دومون يجب مراعاة احوال الشخص وحوال المملكة التي هو فيها . فانه اذا سهل على المرء تعديل عيشته من غير تعب او بقليل من التعب لم يجد ما يعوقه عن الاكثار من الاولاد . والفقراء الذين لا يرون مناصاً من ورطة الفقر ولا مركز لم يخشون على فقدانهم يكثر من النسل ايضاً . ويشاهد هذا خصوصاً في الممالك التي تكون فيها الامة مقسومة الى طبقات او في الممالك التي تكون حكومتها مطلقة كروسيا فان الفقراء فيها يتناسلون بكثرة لانهم لا يهتمون بامر مستقبلهم . ولكن متى برقت لهم لآمل وتحسنت احوالهم ولو قليلاً كان ذلك اغراء لهم على متابعة الجهد في زيادة تحسينها فيجدلون يهتمون بتقليل نسلهم حتى لا يعوقهم عن ذلك . واذا كثر نسل الموسرين والفقراء نجحت عنه مباراة وتنازع للحياة يقف هذا التنازع حداً في ميل اكثار النسل اذ يعمد الانسان حينئذ الى تقليله لحفظ مقامه فيستدق دور النقصان في معدل المواليد نتيجة المباراة والمزاحمة في معترك الحياة

ويرى ناموس المباراة على معظمه في القسم الشرقي من الولايات المتحدة حيث ازدحم السكان فقل معدل الزواج بسبب المنافسة وتنازع الاترة . ولما لحظ الفتيات الزيات ذلك ورأين سوق الزواج قد كدت واوصدت ابوابها في وجوههن اندفن الى مباراة الرجال في الاعمال ليعشن بعرق الجبين ولكن الآخرة كانت شرّاً من الاولى فازدادت المزاحمة وزاد معدل الزواج نقصاناً قلنا ان الدكتور بروشي بحث عن قلة المواليد في اميركا . ولكن يظهر ان هذا الداء منتشر في كل البلدان التي يسكنها شعب الانجولوسكسون . فقد ورد في جريدة الدايلي مايل الانكليزية احصاءات عديدة تدل على نقصان المواليد في انكلترا ايضاً وفي جميع مستعمراتها تقريباً . قالت هذه الجريدة انه منذ ست عشرة سنة قام احد العلماء الانكليز ونادى بوجوب

وضع حد لسيل المواليد الانكليزية الذي كان يتدفق يومئذٍ بعزم ولكن اليوم قد انقلبت تلك الآية فضعف ذلك السيل الجارف حتى كاد ينضب وتهدد انكثرا وجميع مستعمراتها بما يشبه الدمار . وهذه العبرة هي التي حدثت بالرئيس روزفلت الى الفداء الخطب العمومية في هذا الموضوع على الرجال والنساء في اميركا وهي التي دعيت المستر كوكولان الاوسترالي ليضم صوته الى صوت روزفلت وينادي من على المنابر بصوت جهوري محذراً الذين داسوا الشريعة القائلة انما واكثروا . وقد شعرت انكثرا خصوصاً بعد حرب الترنسفال بانها يجب ان تصب سبول مواليدها على تربة افريقية لحفظ الشوكة البريطانية والآن جثت الراية الانكليزية لغيرها من الرايات الاجنبيات

ان معدل المواليد في انكثرا قلَّ عند بزوغ فجر القرن التاسع عشر حينما كانت المدافع الانكليزية تقابل المدافع الفرنسية في وجه بوناپرت وقوادو . وبعد ان انكثفت غائم تلك المدافع وانتشرت راية السلم فوق سهول اوربا بدأ دور الزيادة فزاد معدل المواليد الانكليزية وظلَّ في ازدياد حتى بلغ معظمه في السنين التي تلت الحرب الالمانية الفرنسية المعروفة بحرب السبعين فبلغ في سنة ١٨٧٦ نحو ٤٣٦ في الالف وهو اعظم معدل ذكر في تاريخ مواليد انكثرا منذ عرفت فيها الاحصاءات المدققة . وبعد تلك السنة ابتداء الميوط تدريجياً في انكثرا وفي اكثر مستعمراتها ايضاً

ولا ريب في ان الحروب من اعظم البواعث على تقليل السكان ولكن تأثيرها في معدل الزواج يكاد لا يشعر به . في سنة ١٩٠١ مثلاً لما كانت تربة افريقية الجنوبية تفلج بالتقابل لتزرع بجماجم البوير وتسقى بدماء الانكليز لم يشعر الانكليز بوطاة الحرب في تقليل معدل الزواج بينهم فقد كان معدله ١٥٩ في الالف ولم يكن في السنوات الاربع التي سبقت هذا يزيد على ١٦ في الالف . وقبل سنة ١٨٩٦ لم يتجاوز ١٥٧ في الالف

وما يجب ذكره ان معدل المواليد في الشرق الاقصى كاليابان والدين في زيادة مستمرة على خلاف ما هو في اميركا وفرنسا وانكثرا فهل تسخر هذه الزيادة سنين كثيرة وهل تكثر الشعوب الشرقية حتى تضيق عليها بلادها فتزاحم الشعوب الاوربية والاميركية على غير المعمور من الارض وعلى المعمور ايضاً . وهل تعلم الشعوب الاوية ذلك فتدس الدسائس للشعوب الشرقية حتى يقع بعضها في بعض وتقطع راسها يدها وتبقى منزلتها من الشعوب الاوربية منزلة العبد من السيد والتابع من المتبوع — ذلك كله مما يسهل تصوُّره ولكن يعسر اقامه الدليل عليه

اليابان ووصية سنسر لها

لقد وقّعت اليابان أكثر مما وقّعت دولة شرقية أخرى الى تعليم بعض ابنائها في مدارس اميركا وانكلترا والمانيا حيث قرأوا كتب كبار الفلاسفة فخرجوا منها واسعي المدارك احرار الافكار يسعون في مصلحة بلادهم على اسلوب يفيدها ولا يضر بها . ومن هؤلاء الرجال رجل اسمه البارون كنتارو كانيكو وقد أعطي لقب بارون بعدئذ مكافأة له . فأنه درس في مدرسة هارفرد الجامعة باميركا ولما عاد الى بلاده نُقِلَ في كثير من مناصبها وكان اليد اليمنى للمركيز ابنو وزير الصين الاعظم وله الشأن الاكبر في تنظيم البارنت الياباني . انتخب سنة ١٨٩٠ عضواً في مجمع الشرائع الدولية او حقوق الدول الذي يعقد عادة في مدينة جينغا بسويسرا وكانت اليابان تزرب هذا المجمع لترى ما يكون رأيه في اشتراكها مع الدول الاوربية . ومن المقالات التي تليت فيه مقالة للسرتافوس توس المعدود في الطبقة الاولى بين علماء القوانين الدولية اشار فيها على الممالك الشرقية ان تبقى منفصلة عن الممالك الاوربية فقصد البارون كانيكو ان يناضله ويبين له ولعلماء القوانين المنجمين هناك ان اليابان حرة بان تعامل معاملة خاصة فتتظم في سلك الدول الاوربية وتمتعي حقوقها . واستأذن حكومته في الحجى الى جينغا لهذه الغاية ليضمر اجتماع هذا المجمع سنة ١٨٩٢ . وكان قد قرأ كتب هربرت سنسر واستقى من معين فلسفته وودّ ان يراه وجبا لوجه ويسأله رأيه في بعض المسائل الهامة . ومرّ باميركا في طريقه الى اوربا وطلب من الاستاذ جون فلك الاميركي كتاباً الى الفيلسوف هربرت سنسر ليقابله . يو فاني فلك لعلمه بانقطاع سنسر عن مقابلة الناس لكن البارون حجّ عليه في الطلب فاجابه الى طليبه وسلمه الكتاب فسار به الى انكلترا وارسله الى سنسر مع كتاب اخر منه يبين له في عرضة من طلب زيارته فجاءه الجواب من سنسر حالاً يدعوهُ الى بيته واستمرت المقابلة الاولى ساعتين فان سنسر كان قد جمع اموراً كثيرة متعلقة بتاريخ اليابان وسياستها وعادات اهلها وادبائهم واخلاقهم فجعل يسأل البارون كانيكو عن كل صغيرة وكبيرة منها وسرّ بذلك جداً حتى انه ركب معه واعاده الى المنزل الذي كان فيه وعرض عليه ان يتتظم في عضوية نادي الاثنيوم لكي يراه كل يوم لانه كان عضواً في ذلك النادي وكان يتعدى فيه . وبعد قليل اعلن البارون كانيكو انه قبل عضواً في ذلك النادي ودعاهُ سنسر للغداء في اليوم التالي

وذهب البارون كانيكو الى جينغا وتلا مقالة بلغة في مجمع الشرائع الدولية طلب فيها ان تعطى اليابان حقوق الدول الاوربية وذاكر اعضاءه واقنع كثيرين منهم بصحة طلبه وعاد

الى انكثرتا يسمى لدى رجال الحكومة الانكليزية في تحقيق امنيه وقابل سينسر وهو ينتظر منه كل تعضيد فراه على ضد ما انتظر يشير عليه بان تبقى اليابان منفصلة عن الدول الاوربية جيدها . واحدمت نار الجدل بين الاثنين لكن العلية كانت لسينسر لانه جمع من اخبار الممالك وحوادث الامم ما نضيق به الكتب وعرف من اخلاق الناس وعاداتهم ومعتقداتهم ما اوصله الى احكام مقررة لا تخير . ثم كتب له الكتاب التالي جامعاً فيه زبدة ما اشار به عليه وارشده اليه وهذا تعريفة

”سيدي العزيز . اني اجيبك الى ما طلبته وهو ان ترسل ترجمة كتابي الى الكونت ايتو وزير اليابان الجديد فافعل ما تريد . انا من جهة المسائل الاخرى التي سألتنيها فاقول بوجه عام ان سياسة اليابان يجب ان تكون ابعاد الاميركيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع . فان موقفكم حرج والخطر المحقق بكم مزمع لوجود امم اخرى اقوى منكم فابدلوا اقصى جهدكم في منع الاجانب من ان يتكلموا في بلادكم

”ويظهر لي ان المعاملات التي تفيدكم ولا تضر بكم انما هي المعاملات اللازمة لتبادل المحاصل الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات . فلا تتمتعوا امتيازات لام اجنبية وخصوصاً الامم التي هي اقوى منكم الا ما كان لازماً منها لهذه المعاملات . فاني ارى انكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول اوربا واميركا ان تفخروا سلطنتكم كلها الاجانب ولاموالم فاهتني هذه السياسة لانها الضربة القاضية عليكم . فاذا اردتم ان تعلموا ما سجله بكم فاقروا تاريخ الهند . اقبلوا احدى الدول القوية موطن قدم في بلادكم ومستنداً تستند اليه فتتحول الى الاعتداء عليكم بمر الزمن ويفضي الامر الى وقوع النزاع بينها وبينكم فتشيع ان ذلك النزاع انما هو اعتداء منكم عليها فيجب ان تثار لنفسها منكم . فضع يدها على قسم من بلادكم وتسنمروا باناشائها وتفخذ قاعدة تحمل منها عليكم لاختضاع سائر السلطنة اليابانية . نعم انكم تجدون الحاسب العظيمة في تجنب هذا الخطر ولكن اذا منتم الاجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهلتهم عليهم ما يسعون اليه

”ولتفصيل هذا الاجمال اقول جواباً عن سؤالكم الاول انه يجب ان تمنعوا الاجانب من امتلاك ارض في بلادكم ومن استجارها الى مدة طويلة وانما تسمحون لهم باستجارها سنة فسنة ”واقول جواباً عن السؤال الثاني امنعوا الاجانب من التعدين في مناسم حكومتكم منعاً تاماً لان ذلك قد يفضي الى وقوع النزاع بين الاويين او الاميركيين الذين التزموا للمعادن وبين الحكومة فيستجد المتزعمون بدولهم ويطلبون منها ان ترسل الجنود لانصافهم وانالتمهم ما يطلبونه

مها جاروا في طلبهم . والعادة عند الاوربيين ان يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين في الخارج

” واتول جواباً عن السؤال الثالث انه يجب عليكم ان تبقوا تجارة سواحلكم في ايديكم ولا تعملوا للاجانب بدأ فيها اما الاصناف التي تاتيكم من الخارج وبيع للاجانب ان ياتوكم بها فليكن موزعوها والتاجرون بها في البلاد منكم لا من الاجانب الذين ياتون بها الى بلادكم لئلا يفضي ذلك ايضاً الى خصومات كثيرة تجر التمدي على املاككم

” اما سؤالكم الاخير المتعلق بالتزويج . من الاجانب وهو السؤال الذي يشغل علماءكم وسائلكم وتعدونه من اصعب المسائل كما قلتم في كتابكم فليس بالصعب حقيقة وجوابي عنه ان تمنعوا مزوجة اليابانيين والاجانب . وهذه المسألة ليست من شأن الفلسفة الاجتماعية بل من شأن علم الحياة (البيولوجيا) . فانه ثبت من تزويج اصناف البشر المختلفة وتزويج اصناف العجاوات المختلفة انه اذا زاد الاختلاف بين الاصناف المتزوجة عن حد معين كان النتائج ضعيفاً وقد سمعت ما يؤيد هذا الامر منذ ساعة فقط فاني نازل هذه الايام ضيفاً على رجل معروف في الجبل وخبير بتربية المواشي وقد اكد لي انه اذا تزوج صنفان من الغنم يختلف احدهما كثيراً عن الآخر كان نتاجها ضعيفاً جداً وخصوصاً في العقب الثاني . وهكذا يحدث بين البشر كما ترون في المتولدين بين المنود والاوريين . والسبب البيولوجي في ذلك هو على ما يظهر ان كل صنف من الاصناف يكتسب على مر الايام مزايا وصفات تؤهله لحالة خصوصية من حالات الحياة فاذا تزوج صنفان مختلفان اختلافاً عظيماً في اصلهما وفي احوال الحياة التي اعتاداها جاء نتاجها فاقداً لمزايا كل منهما غير صالح لحال من احوال حياتهما . ومهما يكن من ذلك كله فوصيتي لكم ان تمنعوا تزويج اليابانيين والاجانب

” وبناء على ما تقدم استصوبت القوانين التي سنتها اميركا لتقليل مهاجرة الصينيين اليها ولو استطعت لتقلت مهاجرتهم اليها ما امكن وذلك لانهم اذا استمروا على المهاجرة فاما ان يحافظوا على قوميتهم ولا يزوجوا الاميركيين فيكونوا كالعبيد بينهم . واما ان يزوجهم فيأتي نسلهم ضعيفاً فالنتيجة ضرورية على الاجتماع الانساني في الحالين وبالتالي صيرورة هذا الاجتماع فوضى وهذا ما يحدث اذا ترك الاوريين والاميركيين يزوجون اليابانيين . فترى من ذلك ان وصيتي نقضي العزلة من كل وجه . واختم كتابي بما بدأته وهو ان تبعدوا الامم الاخرى عنكم ما استطعتم . هذه هي نصيحتي امسرها اليكم راجياً ان لا تذاع في حياتي لاني لا احب ان اهب ابناء وطني ولا ان امخطهم عليّ

”صح قلت اني اريد ان يبي كتابي هذا سرًا ما دمت حيًا ولكن لا يخفى عليكم اني لا اريد بذلك القول ان تكتموه عن الكونت ايتوبل اريد ان تطلوه عليه ليجهل محل النظر والاعتبار“ وتاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ ويقول المطلعون على احوال اليابان انها جملة قاعدة لياستها وجرت عليه تمامًا فلم تشارك الدول الاوربية في شيء الا بعد ان قوي ساعدها ولم تعد تخشى اعتداهم عليها ثم لما رأت ان هذه المشاركة قد توقمها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها النائية وهي انكلترا سيدة البحار تحالفتها ووقفت في اقصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتحمدها وخلاصة وصية سنبران الضعيف يجب ان يعلم من القوي ويتجنبه الى ان يقوى ويصير بأمن منه . ولكن لو عمت حقوق الدول لصارت الممالك الضعيفة في غنى عن هذه الوصية وهذا التجنب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تتجنب الممالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرف بقانون حقوق الدول

سكان مصر الاقدمون

ان تاريخ مصر المشرق في كتب المؤرخين الاقدمين وفي ما كشف من الكتابات المصرية يتد الى عهد الملك مينا وهو اول ملك من ملوك الدولة الاولى التي قامت قبل المسيح بقرن ٤٤٠٠ سنة على ما استنبهه العلامة برغش او قبل المسيح بقرن ٥٠٠٠ سنة على ما استنبهه العلامة ماريت لكن سكن القطر المصري اسم كثيرة قبل زمن الملك مينا كشفت آثارها فيه منذ عهد قريب . واقدم هذه الآثار موجود في الصحراء على جانبي وادي النيل وأكثرها من الطران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يكسرونها ويؤونها لتكون نصالاً للسهام وسكاكين للقطع وادوات للحرب

وقد كان هذا القطر منقوضاً بفعل طبيعي يركاني وكان ماء النيل يغمره ويعلم مئات من الاقدام فوق الحد الذي يبلغه الآن . ثم اخذت ارضه ترتفع رويداً رويداً بفعل طبيعي والنيل ينحسر عنها وينقوض بارتفاعها الى ان بلغ الحد الذي يبلغه الآن

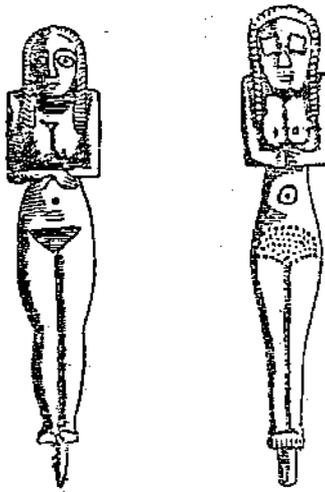
ويظهر من تقدير العظمي الذي يرسب في النيل سنوياً ان الزمن الذي ابتداء فيه ماء النيل ينحسر عن واديه وتظهر الارض الزراعية ليس بعيداً جداً فقد قال الاستاذ بيري انه كان قبل المسيح بقرن سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة ومن رأيي ان الانسان هاجر الى هذا القطر

حينما ابتداء ماء النيل ينحسر عن الاراضي الزراعية فكان المرتفعات التي حولها وكان يعيش من صيد سمكها واقتناص طيورها ويضع الظران من سوان الصحراء ولم تزل مصانعة فيها الى الآن . وعندُه ان الانسان الذي قصد القطر المصري اولاً من بقايا الاقوام الذين سكنوا اوربا في العصر الحجري القديم فان قطع الصوان التي وجدت من آثارهم في هذا القطر مثل القطع التي وجدت في المدائن القديمة في فرنسا وانكلترا . ولم يظهر من آثارهم في اوربا ما يكفي للدلالة عليهم لان الامطار والسيول جرفت عظامهم من مدافنهم او فتنتها ولكن يرجى ان يكشف من آثارهم في هذا القطر ما يدل عليهم دلالة واضحة فقد كُشف في اقدم مدافنهم المصرية عظام تدل على انهم كانوا من شعبين مختلفين الواحد دقيق العظام مثل الاقوام الساكنة الآن في سواحل بحر الروم والثاني غليظ العظام مثل الشعوب الافريقية المعروفة بالشمن الساكنة في جنوبي افريقية . ثم ان آثار هذا الشعب الاخبر زالت سريعاً كان الشعب الدقيق العظام كان ارق منه حضارة وافر حيلة فتغلب عليه وطرده من وجهه فنجأ الى مجاهل افريقية وما زال يوزل فيها امام الشعوب المرتبة الى ان وصل الى جنوبها

وقد كُشفت الوف من قبور هؤلاء الاقوام في القطر المصري وعلم من البحث في آثارهم ما يأتي ملخصاً مما كتبه الدكتور بدج حديثاً في هذا الموضوع

اولاً . ان هذا الشعب القديم او "الشعب الجديد" كما سماه بيري سكن القطر المصري قبل المصريين الذين نشأت منهم الدول المصرية المعروفة . واول من حنق ذلك واقام الادلة الكثيرة عليه هو المسيو ده مورجان الذي كان منذ بضع سنوات مديراً لدار التحف المصرية في هذا القطر ثانياً . انهم مثل سكان شمالي افريقية وكانوا يبيض الابدان شقر الثمور او ان شعرهم كان اسود ولكن ملح الارض التي دفنوا فيها جعله يشقر . رؤوسهم مستطيلة من الامام الى الوراء كرووس الاوريين وشعرهم قصير زجالاً ونساء ولحاهم طويلة مستدقة ووجوههم بيضية الشكل وشفاهم بارزة قليلاً وعيون نساءهم طويلة لوزية الشكل وحواجبهن طويلة مقوسة وقامات الرجال والنساء طويلة واجسامهم نحيفة وكانوا يشمرون اجسامهم بصور الحيوانات ويقومون عراة لا يلبسون ثياباً ولكن رؤوسهم كانوا يتردون بجلود الحيوانات من المرزى والعزلان يصنعونها تباين ومازر ويربطونها حول احقائهم ويقومون اذنانها معلقة بها تندل من ورائهم وبقي ذلك شائعاً في عهد الدول المصرية . ثم صار نساؤهم يلبسن قيصاً يصل من الوسط الى الكاحل وسائر الجسم يبقى عارياً . وقد علم ذلك كله من عظامهم ومن تماثيل العظم والماج التي وجدت في مدافنهم والصورتان التاليتان من صورهم وهما مصنوعتان من الماج وتقتلان امرأتين وكانت الصور الاولى

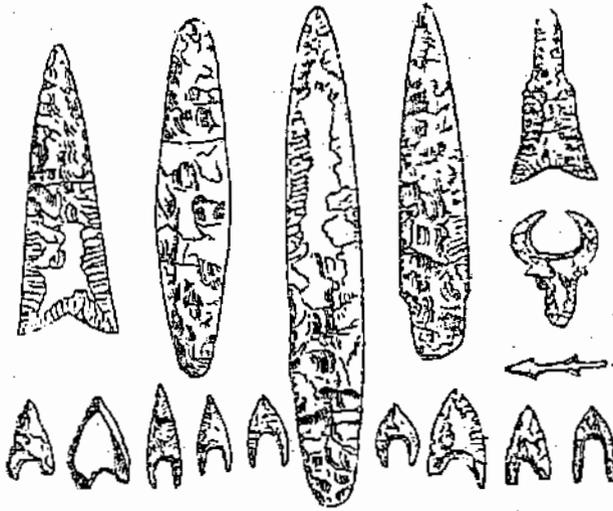
تمثلين من غير شعر ثم صرن يطلن شعورهن ويقصنها كما ترى في هذين الشكلين وكان للشكل الاول منها عينان من اللازورد كأنه اريد به الدلالة على ان العينين كانتا زرقاوين ولم يكونوا يعرفون نسج المسرجات لانه لم يكشف اثرهما بين آثارهم فكأنهم كانوا يعرفون قطع الحجارة وصقلها فان نساءهم كن يتقلدن بقلائد من العقيق واليشم والصوان والصدف وعرق اللؤلؤ وكانوا يصنعون الدماج من الصوان على ما في عملها من الصعوبة والمهارة . ووجدت بين آثارهم امشاط من العظم قصيرة الامتنان طويلة التمايض مشقوشة من رؤوسها كالامشاط التي يشكل النساء شعورهن بها الآن



(الشكل الاول) تمثالا امرأتين مصنوعتان من العاج

ومن آثارهم الغربية التي وجدت في مدافنهم قطع من العاج في اشكال التماثيل مجوفة ولها غطاء صمغي وفيها مسحوق ملون كالكبريت او كالاتيون كأنها كانت مكاحل للنساء . ولعل المثل العربي القائل صارت عظامه مكاحل مأخوذة عن هذه العادة . وكانت مساكنهم اكواخا من القصب واغصان الاشجار مثل الاكواخ المستعملة في بعض جهات السودان الان وكانوا يدفنون موتاهم ملفوفين بجلود الحيوانات وهذا يدل على اشتغالهم بالصيد . ثم ان كثرة وجود العاج بين مصنوعاتهم يدل على ان الفيل كان كثيرا في القطر المصري وقد سميت جزيرة ابو او جزيرة النيل الفنتين باسمه لان معنى " ابو " الفيل . ولم يكن صيد

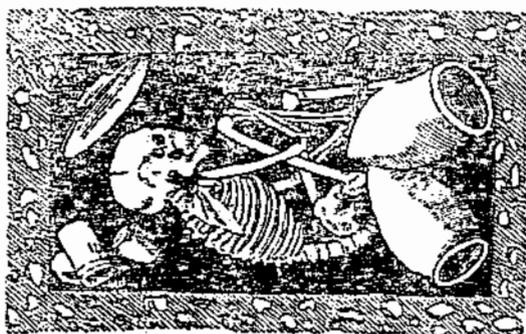
الحيوانات الكبيرة كالليل والكركدن والعامية بالامر الصعب عليهم لان هذه الحيوانات تجتمع في الجزائر التي تحيط بها مياه النيل بعد الفيضان وكانت اسلحتهم من الظران اى قطع الصوان المنزوعة في اشكال النبايت والفؤوس والحراب والسهم . وقد وجد كثير منها في مدافنهم وتدل اشكالها المرسومة في الشكل الثاني على انهم كانوا يعتنون بعملها وقد مهروا في ذلك مهارة فائقة فصنعوا بعضها في شكل النصال وبعضها في شكل رؤوس الكباش وقرونها . ويبي المصريون يستعملون الظران بعد ان اكتشفوا عمل الادوات من المعادن



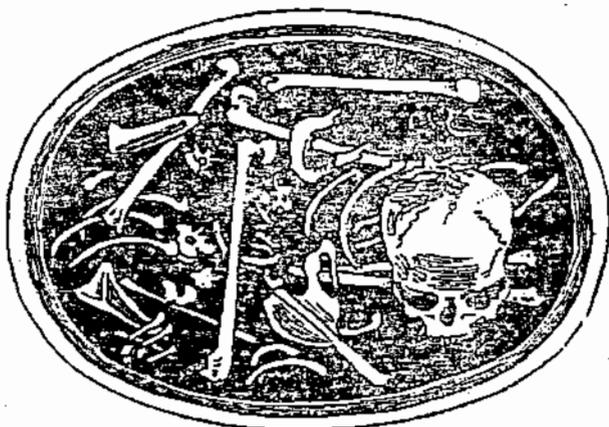
(الشكل الثاني) ادوات الظران رؤوس حراب وسهام

وتفننوا في عمل الادوات من العظم والعاج والحجر وعملوا منها آنية مختلفة ولم يتركوها سادجة بل نقشوا ظاهرها بخطوط لولبية وخطوط متموجة . واتصلوا الى عمل الخرف وابتدع الخرفية متقنة الصنع نوعاً وجنبا صقيل كأنهم كانوا يعقلونها بقطع الصوان . ولون خرفها اسود او احمر وبعضه ملون وعليه صور الناس والحيوانات وتصويرهم للحيوانات متقن لاسيما الغزلان اما مدافنهم وهي العمدة في آثارهم فالمتوزعة منها في القدم متفورة في الصحراء والغالب ان تكون الحفرة مستديرة وقريبة بعضها من بعض حتى قد تنصل رمة الدفين الواحد برمة الدفين الآخر . يوضع الدفين فيه على جانبيه الايسر ويوجه رأسه الى الجنوب غالباً وترفع ركبته حتى توازي صدره وتوضع يده امام وجهه كما في الشكل الثالث ويوضع حوله آنية مختلفة من الخرف وادوات من الصوان والعظم والعاج . وقد يلف جسمه بجلد غزال ويربط بسرايد منه . او يوضع على حصير من

القصب. ولم يكونوا يخنطون موتاهم. ثم صاروا يبنون القبور او يطنونها بالحجارة او بالاجرو ويحرقون الميت كله او بعضه فاذا حرق كله طرحوا ما بقي من عظامه في القبر من غير انتظام واذا حرقوا



(الشكل الثالث) قبر قدم وضع الميت فيه على جنود الابر واقبر مطن بالاجرو في آنية خزفية مختلفة بعضه دفنوه دفناً كما يدفنون الميت الذي لم يحرق. ويحتمل ان هذه الاجسام المحروقة كلها او بعضها لم تحرق عن قصد بعد موتها بل حرق في الاكواخ بنار شبت فيها فجمعت منها ودفنت



(الشكل الرابع) قبر فيه عظام كثيرة مجردة من لحمها وقد توجد العظام في القبر منفصلة بعضها عن بعض كما ترى في الشكل الرابع ويظهر لنا انها عظام اناس قتلوا في الحرب فجمعت ودفنت بعد ان اكلت السباع لحمها هذه خلاصة ما عرف عن هؤلاء الاقوام وسنأتي في الجزء التالي على ما يُظن من امر الامة التي دخلت القطر المصري ونشأت منها الدول المصرية الاولى

قوائد في العوائد

”كل امرء وما تعود“ حديثٌ سَلِمَتْ بِهِ البِدَاعَةُ وَحَكْمٌ اِيْدُهُ الْاِخْبَارُ وَمَعْنَاهُ اِنْ مِنْ تَمَكَّنَتْ فِيهِ عَادَةٌ مِنَ الْعَوَائِدِ ظَهَرَتْ فِي خِلَالِ اَعْمَالِهِ بِلا تَعَدُّ وَلَا تَكْتَفٍ . وَالْعَادَةُ فِي شَرَحِ الْمَارِفِينَ لَيْسَتْ كَالْخَلْقِ لِانَ الثَّانِي يَشْتَرِطُ فِيهِ اَنْ يَكُونَ غَرِيْبًا مَخْلُوقًا فِي نَفْسِ الْمَرْءِ كَمَا قَالَ حَنَّانُ الْاَنْصَارِيِّ عَنِ قَوْمِهِ :

قَوْمٌ اِذَا حَارَبُوا خَرُّوا عَدُوْمَهُمْ اَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي اَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تَلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَحْدَثَةٍ . اِنْ اَخْلَقَ فاعِلٌ شَرُّهَا الْبِدْعُ
وَذَلِكَ بِخِلَافِ الْعَادَةِ فَانَهَا تُؤَخَذُ بِالْمَارِسَةِ وَالتَّكْرَارِ . اَمَّا التَّخَلُّقُ اَوْ التَّكْتِفُ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ
لَا نَهْ لَيْسَ طَبِيعِيًّا مَوْضُوعًا فِي النَّظَرَةِ وَلَا بَعَادَةٌ لَانَهُ لَيْسَ مُسْتَمِرًّا . قَالَ النَّاصِرُ
فِيهِ الْكِرَامَةُ خَلْقٌ لَا يَزَالُهُ لَيْسَ التَّخَلُّقُ بِالْاِخْلَاقِ كَالْخَلْقِ
وَوَجُودٌ مِثْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي النَّاسِ دَلِيلُ الْعَجْزِ وَالْجَبْنِ وَلِذَا لَا اَتَمْرَضُ لِلْبَحْثِ عَنْهَا

وَقَدْ قَالَتْ عِلْمَاءُ الْاِخْلَاقِ اِنْ الْمَرْءُ بِمَجْمُوعِ عَادَاتِهِ وَمَعْنَاهُ اِنْ قِيَمَةُ الْاِنْسَانِ وَمَقْدَارُ نَفْسِهِ
بِتَرْقُفَانِ عَلَيَّ مَا يَبْدِيهِ مِنَ الْحَرَكَاتِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِيهِ بِغَيْرِ جَهْدٍ اَوْ تَكْتِفٍ فَاِنْ كَانَتْ
حَسَنَةً وَثِقَ بِهَا الْآخَرُونَ وَاتَّبَعُوهَا وَاِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ سَجَّوهَا وَهَجَّروَهَا

وَالْعَوَائِدُ الْمُقْتَبَسَةُ اِذَا ثَبَتَتْ فِي نَفْسِ الْاِنْسَانِ وَامْتَزَجَتْ بِصِفَاتِهِ الْبَاطِنِيَّةِ وَظَهَرَتْ فِي كُلِّ
حِيْنٍ مِنْهُ بِلا تَعَدُّ كَانَتْ حَكْمًا فِيهِ حَكْمُ الْغَرِيْبَةِ وَامْتَكَنَتْ اِنْ نَطَقَ عَلَيْهَا لِقَبٌ سَجِيَّةٌ اَوْ خَلْقٌ . وَقَدْ
يَلْتَفِتُ الْاِنْسَانُ بَعَادَةً اَوْ سَجِيَّةً مُضِرَّةً بِغَيْرِ تَرْقُفٍ تَنْطَرِقُ اِلَيْهِ مِنْ بَابِ الْمَعَاشِرَةِ وَالتَّوَدُّدِ تَنْصِيرُ مَلِكَةٍ
فَتَسْلُطُ عَلَيَّ اَعْضَائِهِ تَسْلُطُ الرَّأْسِ عَلَيَّ الْبَدَنِ فَيَقَعُ فِي حَيَاثِلِ اِهْمَالِهِ وَيَحْصُدُ نَتِيجَةَ تَعَاْفَلِهِ . وَلِذَا
كَانَ التَّرْوِيُّ مِنَ اَوْجِبِ الْاُمُورِ وَاسْتِعْمَالُ الْحِكْمَةِ مِنَ اَلْزَمِ الْوَسَائِلُ لِغَدْرِ مِنَ الْوَقُوعِ فِي اِشْرَاكِ
الْعَوَائِدِ الْمَضِرَّةِ

لِنَتَّصِرُ الْاِنْسَانَ اَلْزَمَ بِحَكْمٍ اِنْ يَجْعَلُ طَرِيقًا مِنَ الْحَدِيدِ الْمَطْرُوقِ الثَّقِيلِ حَوْلَ رِقْبَتِهِ اَوْ سِلْسَلَةً
حَوْلَ مَعَصِمِهِ وَاِنْ لَا يَلْبَسُ عَنْهُ هَذَا الْجَمَلُ مَا دَامَ حَيًّا . فَكَمْ يَصِيْبُهُ مِنَ الْاَلَمِ وَالْعَذَابِ وَكَمْ يَشْنُ
وَيَتَنَبَّهُ لَانَهُ لَا يَرِيءُ لَهُ مَنَاصًا مِنْ هَذَا السَّجْنِ الْاَبَدِيِّ وَلَا اَمَلٌ لَهُ بِالنَّجَاةِ مِنْ اَوْصَابِ هَذَا
التَّيْدِ الْمُسْتَمِرِّ ؟ هَكَذَا يَكُونُ حَكْمُ الْعَادَةِ فِي الْاِنْسَانِ فَاِنْ سَلْطَنَتْهَا لَيْسَ بِاَخْفٍ وَطَاءَةٍ مِنْ هَذَا
السُّلْطَانِ . فَمَا اِحْرَجَ هَذَا الْمَسْأَلُ — مَسْأَلَةُ اِخْتِيَارِ الْمَادَاتِ — وَلَا يَخْفَى اِنْ الْاِنْسَانَ سَهْلَ
الْاِتِّخَافِ بِالْعَادَاتِ حَتَّى قِيلَ لَهَا ”تَجْرِي اَلْيَدُ عَلَيَّ نَزْلِقِي مُنْعَدِرٌ“ خُصُوصًا مَا كَانَ مِنْهَا رَدِيْقًا لِانَ

الماء يجذب بجائليها على ابعد مسافة وياقل الفواصل . نعم انه لا يتقاد اليها لاول وحلة الا انه مع ذلك ينبغي ان يكون على حذر منها لانها تقوى عليه بقانون الطبيعة شيئاً ثيباً حتى يعنو اليها صاغراً . فالليل الذي يستعمله الملاحون في جرعظم السفن ثقلاً مركب من خيوط دقيقة الى الناية والياف واهية جداً . وهذا الليل تربي تحت قدميه اعظم السفن هولاً وتقاد اليه اعلاها جسماً ونظاماً . هكذا تكون العادات فان ما يظهر حقيراً فيها بالتجزئة تنقاد اليه المامات الرقيقة والنفوس المالية

ولا بد من العوائد للانسان لانها كما تعلم التجري الذي تسير فيه الاعمال والافكار والاحاسات ولا فرق بين ان كانت رديئة او سالحة لانها لا يهد من ان تعد بطياع الانسان حتى تصير جزءاً منها او "طبيعة ثانية له" قيل ان رجلاً انكلزياً كان لا يشعر بدفع النار قريبة منه الا اذا وضعت في محل قديم تعود ان يدفأ فيه نحواً من متين سنة . وقيل ان رجلاً قنسى في سجن الياسليل ردحاً من الزمان فبعد ان خرج منه طلب ان يرجع اليه ليقضي باقي عمره فيه لانه تخلف في السجن باخلاق لم يستطع تغييرها وهو خارجة

والشبان الذين اخاطبهم الان لا يد انهم يهتمون باتخاذ عوائد تنطبق على افكارهم واعمالهم وربما كان اكثرهم الان في جهاد متواصل في استعمال الاختيار والعقل لاتخاذ اسلم العوائد التي ينالون من ورائها السعادة والنعمة . اني لا استغرب انهم يذلون هذا المقدار من الاهتمام بهذا الامر الخطير ولكنني استغرب لان هذا الاهتمام لم يصل الى حده الواجب لانه ينبغي ان يكون عمل الحياة المستمر

افرض يا هذا انه قد ر عليك ان تختار نوعاً من الملابس لا تغير مدى الحياة فك من الفكر والتمييز يلزمك لتنتقي ذلك اللبوس . ولو امر عامل ان يستعمل فأسا كل ايام حياته فاي حكمة وتمعن يلزماته لاتقاء تلك الفأس . هذه المفروضات اقل خطراً من اتقاء العوائد النافعة فكما تريد ان تحمي جسمك بلبوس مريح مناسب مقبول اي ليس ضيقاً يمنع نمو الجسم ولا هو فوق ما يناسب احوالك ولا مستهجنات في ذوق العقلاء هكذا ينبغي ان تتروى بكساء العوائد التي تضمن لجسمك نمواً ولصحتك اعتدالاً ولتروتك ازدياداً ولا دابك ارتقاء وامتداداً . وكما ان الجسم يظهر بهائه واعنداله في الرداء المنتظم المريح هكذا جمال النفس وبهاؤها يظهران في العوائد السليمة الصالحة والسجيا الكريمة الفاضلة

ولا ارى من صعوبة في اقتباس العوائد الصالحة متى وجدت الرجولية الحقيقية والنبات الواجب "فن تعود البطالة من صفوه يقدر ان يهمل عشر ساعات في النهار في حمل الحجر

إذا ابتداءً ذلك بجدٍ مع المثابرة والأفكيفية يقوم العامل اليومي بهذا العمل الشاق إن كان الأمر غير ممكن . وما يقال في الأمور المادية يقال في غيرها

ولا أريد أن أتسكأ إليها القارئ بان أذكر لك كثيراً من العوائد التي أرى الحاجة ماسة إليها ولكنني أخص ما كان منها هاماً للشبان والأمل أن يكون منهم كثيرون ممن يقرأون باهتمام هذه الجمل البسيطة لاني قصدت أن أجعلها موجزة للغاية ومحدودة الالتقاط خالية من التعميق حرصاً على وقت القارئ ومع ذلك فربما لا تتمكن الآن أن أكتب إلا في عادتین

وأول عادةٍ أجعلها بيتاً لتصيد البحث هي هذه : —

عَيْنِ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ فِي يَوْمِكَ . — العمل اليومي خطرة في سبيل حياة السعادة التي يقصدها عقلاء القوم ولا يوجد سبيل محض بالمخاطر وملآن بالمعائر نظير هذا السبيل . ولذا يحتاج السائرون فيه إلى تمن تام وحكمة عظيمة وتدريب جيد يربح يطرئون سبيلاً كهذا السائرون في التجرد والسهول يحتاجون إلى خريطة معينة موثوق بها تكون رائداً لهم ومرشداً لا يتجاوزون حدوده وبهذا المعنى يقال أن العامل أو الساعي يحتاج في سعيه إلى رائدٍ يملأ له أعمال يومه حتى يتدبرها

وحياة الإنسان طالت أو قصرت ينبغي أن توجه أعمالها إلى غاية واحدة . والمرء الذي يسعى لغير غاية يهوي بنفسه إلى مهاوي الضلال والجيالة ومثله كمثل سنية في الأوقيانوس لما قوة للسير ولكن لا وجهة لسيرها تلعب بها الرياح وتخبطها الأمواج حيث شاءت . هكذا الإنسان الذي يعمل كثيراً ويستفيد قليلاً — فهو كثير الكارات قليل البارات . فإلى مثل هذا يقال خير له أن يعين غاية يسعى إليها وأمالاً يرقبها وهذا لا يتأتى إلا بتعيين أعمال كل يوم على حدته من الناس من يخرج من بيته لغاية غير معروفة أو على الأقل غير معينة فيمشي كثيراً ويرى أصحاباً كثيرين ويتكلم كثيراً وعندما يحاسب نفسه على فراشه يجد ما أقل ما أفاد به أو استفاد منه والسبب لأنه لم يعين لخروجه عملاً خاصاً وربما قضى أكثر وقته يتأمل في نوع الفائدة التي يبغيها

كان رجل عالم إذا سأله عن مسألة يحتاج إلى جوابها دقيقةً أجابك " لا وقت لي للجواب لاني لم أحسب لما حساباً قبل خروجي من بيتي " فلا غرابة أن صار لهذا العالم أمثاله المكان الأول بين الشرفاء لانهم يقدرون الحياة ويرتبون أعمالها فينتفعون أو ينفعون بها . أما ما يظهر فإنا من التقصير في هذا الأمر فهو علة انحطاطنا وسببنا أن نهض إلى اتخاذ هذا المبدأ لأنه من اشرف وافنع مبادئ الحياة بل إن تعيين الأعمال اليومية بما يجهز القوى

العقلية بفعل التنبه الى الشروع فيها بسهولة وبعطيها فرصة لزيادة الامعان وثبات العزم . قال احمد " لم اقدم على عمل من خمسين مما عملت بتدبير سابق ولكنني ندمت على كل عمل املكه بدون تدبير "

٢ اشغل وقتك بالعمل والجد ولا تتجاوزهُ الى آخر حتى ينتهي ﴿﴾

" الاجتهاد بين النجاح " حديث الفلحين في كل العصور . لم يقل " المواهب " او الفرص بين النجاح لانها قد تكون بيد الكسول كاللؤلؤة بيد الجاهل لا يعرف قيمتها ولا يحسن التصرف فيها . والاختيار يؤيد ان اكثر اصحاب المواهب العظيمة ليسوا اصحاب جد وامانة ولو استعملوا مواهبهم حسب هذا المبدأ لاستفاد العالم منهم فائدة تذكر ولكنهم كما يؤيد الاختيار يستعملون مواهبهم العظيمة كعكاز يتوكأون عليه للراحة والتملح لا ليطرقوا به ابواب المجد والنجاح وبهذا تصير المواهب التي لم تقطعة من الخديد تترك بلا استعمال الى ان تنأكد في الهواء وتصدأ بفعل الطبيعة حتى تأكلها العوارض وتفتتها الايام

والاجتهاد لا يشترط فيه ان يصحب المواهب السامية لانه وحده كاف لئيل اسمى اغراض الحياة . وقد يجلب لاهله ما لا تحبهُ المواهب السامية بأمرها . والاجتهاد الذي اقصدُه ليس من ستربات الطبيعة او من الامور غير الممكنة لان معناه ان يشغل الانسان فراغ وقتهِ بعمل يتدبرهُ لئال من ورائهِ اتمام غاية حياته السامية ولذا فهو يسور لجميع الناس ينتج من ذلك انه لا عذر للضعفاء في نقصير آمالهم بالحياة زعماً منهم ان قواهم لا تكفي

لئيل تلك الآمال لان كنوز المجد والسعادة ترحب بكل مجتهد

فاذا وعد غنيٌ بميائزة من يقطع مسافة معلومة ورايت بين الاصحاء اعرج يجمع على نفذه قاصداً قطع تلك المسافة علمت ان الغني لا يتأخر عن مكافأة هذا الرجل بنفس ما كانا يؤ غيره ولو وصل بعدهم بزمن . بل ربما كافأ الاعرج اصناف ما يكافؤ به غيره . هذا عين ما يجده الذين يطرقون باب الآمال بيد الاجتهاد لا بيد المواهب ومساعدة الفرص . . . قال

المثل الايطالي من يسهل يسهل سيرطويلاً وقال الشاعر

لاستهلن الصعب او ادرك المتى فما انقادت الآمال الا لصابير

نستغرب كثيراً حينما نرى او نسمع بعدد المجلدات الضخمة التي فيها كتّاب العصور الماضية . ولكن اذا علمنا ان سر تلك الاعمال هو استعمال الاوقات بالاجتهاد زال استغرابنا لان الحياة المشغولة بالاعمال تستطيع ان تملأ العالم من العوائد . وهذا عين ما امتاز به التجار بن مريم الذي استعمل كل فرصة للعمل والفائدة فغير العالم روحياً وادبياً وغرس اصول الفضيلة واسس قواعد المدنية

بعض الشبان معرضون حينما يتدثرون بعمل لان يظهروا جهداً فائقاً ولكنهم لا يلبثون ان يملوا ويميلوا الى قضاء وقت اطول مما يلزم في الراحة من عناء ذلك التعب . وفي هذا الطريق من الخطر ما لا يخفى
وغيرهم عرضة لان يجبوا العمل الجديد فيأتونه بكل القوة ثم يفتونهُ ويؤثرون الكسل على العمل به . هولاء لا يجنون شيئاً من انماهم . يزرعون كثيراً ولا يحصدون شيئاً . يقال ان الذي يمشي مستملاً كل قوته ثلاث ساعات كل يوم دار حول الكرة الارضية في سبع سنوات وذلك بفعل الاستمرار فاذا قضى عشر ساعات يدور حول الارض في نحو سنتين وهو زمن قليل في ذاته وكثيرٌ باعتبار الثابرة وعدم الاتعاط . هكذا يقدر من اراد ان يقطع اي فلاة من فلات المعارف والتقدم

النود يؤثرن المثل الآتي على غيره من الامثال وهو " المشي خير من الجري والوقوف خير من المشي والجلوس خير من الوقوف والنوم خير من الجلوس " . وكان هذا المثل وحده علة لاختطاط الامة عموماً فلينبه القاري

ولا يخفى ان الله جعل للمرء عمراً محدوداً واعد له من الازل عملاً يناسب ذلك العمر ولذا يلوح لي ان من لا يستعمل كل وقت فاما الله يستعمل الله لانه اطال عمره بغير قصد واما انه يدل على تقصيره في اتمام ما قصد الله ان يتمه به ونظير هذا انسان لا يستطيع عند ما يبرح هذه الحياة ان يقول " اكلت السعي "

أكد احدكم لصاحبه في جواب له انه لم يمض عليه يوم لم يكتب فيه شيئاً من مؤلفات او يقرأ جانباً من المطولات وان هذا كان سبباً في رفعتي وداعياً لعلوشاني . وقد قرأت الان عن رجل كان عظيم النفوذ بين قومه يدعي (روترفورد) لم تكن له لذة الا في الاتهاب ولا سعادة الا في العمل كان يلبى كل يوم خطاباً دينياً او موعظة ادية مكتبة ويصلح مقالات احدى الجرائد قبل الطبع ويزود المرضى ويفتقد بعض العائلات ويعلم في احدى الكليات ويقضي وقتاً مع بعض الشبان لحثهم على الاهتمام باعمال الحياة الخطيرة وفوق هذه الواجبات اليومية وجد بعد موته ان له من المؤلفات ما يزيد عن المائة مجلد في مواضع مختلفة حتى يخال للتأمل ان حياته كانت اقصر من ان تكفي لكتابة تلك المجلدات وكأنه لم يكن يعوزه وقت للاكل والشرب والراحة والرياضة نظيرنا

وقد يظن كثيرون انه لا يجوز ان تنهك القوى دائماً بالعمل لان ذلك يجرم الانسان السعادة والحال ان العمل بعكس ذلك يقوي البنية الادوية والمادية ويلذ للنفس ويهدب

الصفات ويرقى المدارك وان شئت فقل ان عدم العمل هو الذي يضعف القوى العقلية والجسدية .
فقد سأل مرة المركز سبينولا السر هوراس لم مات اخوك فاجابه مات لعدم العمل يا سيدي
فقال ذلك نعم فان ذلك كافٍ لتتل العلم والفضيلة باسرها . وقد قالت الاتراك في امثالها " الرجل
العامل بحاربه شيطان واحد اما الكسلان فيعاربه ألف " وقال المثل الاسباني " العامل
يجربه الشيطان اما الكسلان فيجرب الشيطان " . فكيف تكون حياتك ايها الشاب العزيز سعيدة
اذا شغلت وقتك بالعمل

ويوجد مانع عظيم يؤخر نجاح المشتغلين ويذهب بانعابهم ادراج الرياح وهو سرعة التنقل
من عمل الى آخر قبل ان يجزى . فقد يشغلون كل اوقاتهم بالعمل ومع ذلك فتركم الاعمال
كالامطار الغير الناضجة فيجعل لهم زرعاً كثيراً متعباً بلا حصاد مفرح . فالبعض يقرأون او
يسمعون سيرة رجل عظيم فتأخذهم الغيرة الطبيعية ويرتاحون الى محبة الاقتداء بالصفات الجليلة
التي كانت سرّاً لتجاهد فيزيثونها على غيرها الى حين ولكن اذا ما انكشفت لديهم صعوباتها
هجرها ولازموا طريقاً آخر . قال احدهم " اعرف رجلاً سمع عن عالم كتب على بابيه ببني
للزائر ان يترك مع اهل البيت في اعمالهم فكتب هو ايضاً ذلك على بابيه بحروف واضحة وانكب
زمناً على اعماله اليدوية وبعد قليل سمع بعضاً يتحدثون مؤلفات العالم بلاخستون فرى
المصنوعات التي في يده غير كاملة واخذ يقرأ مؤلفات ذلك العلامة وبعد ان سرّبها في البداءة
ورأى متاعب المطالعة سمع رجلاً يقول ان المرء يستفيد من المحادثة أكثر من المطالعة (وهي
حقيقة مشكوك فيها عند العقلاء) فترك مطالعته وابتدأ يجول من بيت الى آخر ومن صاحب
الى آخر ليلتقط المعارف الزعوم نيلها بهذه الصورة وهكذا سار كل حياته عطشاً والماء تحت
رجليه . فرجل كهذا قلما تستفيد منه الهيئة الاجتماعية

الرجل الذي يتدبر العمل بحكمة هو الذي يبداءه بجد معتدل واهتمام عظيم ويتقدم فيه
حتى ينجزه واذا حالت صحائب الصعوبات دونه تهب نسمات الثبات والشهامة الحارة فتشع
تلك السحب ويظهر بعدها جوّ المعالي والآمال صافياً رائعاً . اما الرجل الذي يبدأ بعمل ولا
تحمه ويؤجل عمل اليوم الى غدٍ والذي يقضي وقتاً في التأمل فيها ببني ان يفعل اولاً فهو
رجل قليل التدبير عديم الامام بقيمة الوقت الثمين واعمال الحياة الخطيرة فيحتاج ان يعرّف نفسه
هذه العادة الثمينة التي كانت سرّاً لتجاح كثيرين وفتاحة خير عظيم على العالمين وسبباً في تعظيم
الحياة وهي ان يشغل وقته بعمل ولا يتجاوزهُ الى آخر حتى ينتهي

دفع وم

من ساح في الارض وضرب في آفاقها واستطلع آراء الامم واستشف افكار القبائل
 رأى من غرائب الوهميات فوق ما يرى من بدائع المحسوسات فكم من وم راج في امة رواج
 الحق وكمن خطأ نقضت عليه قرون وهو يعد صواباً وكمن أسطورة نزلت منزلة الحقيقة
 فتوارثها الخلف عن النصف وكرها عليها المثون من السنين ولها رونق الحق وكراته لم يمسا قلم
 بنقد ولم يبخرها لسان بطعن ولا تجسها عقل . فكأنما مزجت الفرائز البشرية بالارتياح الى
 الاوهام والمشاشة للرضائل وما تكاد تفتق العقول من سكراتها وتستيقظ من غفلاتها حتى
 تعود اليها . فما قد ودعنا القرن التاسع عشر قرن النور واظنانا القرن العشرون وفي هذه النواحي
 من اهل الاطلاع والمعرفة باللغة الاعجمية من يعتقدون ان الفقه الاسلامي مأخوذ عن الفقه
 الروماني وهو وم قد عشن في اذهانهم وفتح وليس فيهم من يرتاب في صحته فيتكلف
 التخص عنه بل هو عندهم حقيقة بلغت من الثبوت ان كادت تصير في حكم ما يمس باليد
 وينظر بالعين حتى صاروا يستخفون بين ينكرها ويستقلن اطلاعه ويستضعفون عقله

رويدك لا تعجب من ذلك فقد انتشرت الكتب المنادية بالله ونطقت الكائنات ولا تزال
 ناظقة بوحداية المكون ولم يبرح الوثني عاكفاً على وثنه والمجوسي ساجداً للنار والهندي عبداً
 لنهره لا يريد واحد من هؤلاء من معبوده بديلاً

اما بعد فقد جمعي ولودعياً أكثر من مطالعة كتب الافرنج منزل صديق قدار الخطاب
 والتحدث في امور عدة وشؤون شتى كما هي العادة عند تلاقي الاصحاب فتكلمنا في التجارة
 وما طرأ عليها من آفات الافلاس هذه السنة ثم في الصناعة واحتياج البلاد اليها ثم في المدارس
 وكثرتها وما زلنا نتقل في اشياء هذه المباحث التي تعود التحدث فيها في المجالس والجامع اهل
 المطالعة والتجار والسائرون تحت راية العلم من قطان بيروت ولبنان حتى افضى بنا الكلام الى
 العلم الذي يرجع اليه في المعاملات ويعول على قواعد في فصل المنازعات العلم الذي اذا
 حصله المرء كان له امع شككة علم الفقه فاطرات ائمة الاربعة ابا حنيفة النعمان المتوفى سنة
 ١٥٠ هـ والامام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ والامام مالك الشرف سنة ١٧٩ هـ والامام احمد
 ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ واخذت في بيان ما لهم من الفضل في استباطه . فقال ذلك
 الرجل مع توفد فواده وسعة اطلاعه ما وقع عندي موقع الاستغراب من ان هذا الفقه
 مأخوذ عن الرومانيين فانكرت ذلك عليه وظالته بالدليل فلم يكن دليلاً سوى اعادة دعواه

فألتة هل طالعت الفقه الروماني وعارضت ابوابه بابواب الفقه الاسلامي فبيست من هذه المعارضة ان هذا الفقه مستمد من ذلك حتى قلت ما قلت فقال " لا لكن الواقع كما قلت لك اصله من الرومانيين " فلما كان تعليقه من باب قول يونس " اي كذا خلقت " وصدته ان اطالع الفقه الروماني واقابله بالفقه الاسلامي بابا بابا وانشي في هذا الصدد مقالة احسبها اللثام عن عمياً الحقيقة حتى لا يبقى في هذه الديار من يجلبها او من يدعي هذه الدعوى ولا يكون من يرد دعواه بالدليل القاطع وقد وقفت على كتاب فقه روماني فلم يظهر انه اصل للفقه الاسلامي البتة فأخذت حينئذ في كتابة هذه المقالة استأصل بها شأفة شبيهة شائعة بين مطالعي الكتب الأوروبية ومن يعاشروهم ويعتقدون صحة اقوالهم وسداد آرائهم وقد اتيت بالحجج القاطعة مما بين الفقهين من التباين ولا بد ان أقدم تلك الحجج بتمهيد يتسنى به لاصحاب هذه الدعوى وجه عذر في تسلط هذا الوهم عليهم فاقول

ان للفقه الروماني مقاماً سيئاً حتى في اذهان المصارفة لمكان ان الرومانيين بسطوا سلطتهم على المشرق وخفقت اعلامهم فوق مدائنهم واتقاد اهلهم لسلطانهم . وانتشرت في أرجاءهم رسومهم واحكامهم وعليها اعتمد في الفداء وبث الحكم عند الخلاف كل تلك القرون التي ملكوا فيها الاقطار الشرقية وهي قطعة من الدهر تناهز سبعمائة سنة . وقد تولى هذه الديار بعدهم العرب المسلمون وهؤلاء لم يلروا على شيء من احكام الرومانيين وشرائعهم ليس الاحكام النظرية التي يشترك فيها الناس اشتراكهم في الصورة الانسانية فان الدولة الغالبة توافق الى ان تحوم من لوح الوجود آثار الدولة المغلوبة وترسم في مكان هاتيك الآثار آثارها حباً ان لا يبقى لتسابقه ذا كرم بخير . هذا مع اتحاد الدين بين الدولتين فما ظنك بهما مع اختلافهما كما هو الامر بين دولة العرب المسلمين ودولة الرومانيين

اما الحجج المبطللة القول بان الفقه الاسلامي مأخوذ عن الفقه الروماني فهي (الحجة الاولى) ان بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني من الاختلاف في تقسيم المراد وتبريد الابواب ما يدفع هذا الوهم . ومن عارض ابواب الفقهين وقابل مواد الشرعين لم يجد بينهما اتفاقاً الا فيما لم يختلف فيه البشرولن يختلفوا من نحو طلب الشهادة لاثبات الدعوى والرهن او الكفالة للاطمئنان على الحق والمعاقبة على الجنايات

فلو صح هذا الوهم لرأيت بينهما من المشابهة مثل ما بين المتابع والمتابع والحال ليس بينهما الا شبه ما بين الافرنجي والصيني . ألا وان الاختلاف بين الشرائع لا يتعدى حد ما بين افراد النوع من الاختلاف . فانت ترى ان لكل فرد صورةً تخصه وهيئةً تميزه عن سائر

افراد نوعه و افراد النوع تجتمعها الحقيقة النوعية فزيد وعمر و خالد واحد بمعنى ان كلا منهم انسان مستوف ما به قوام الصورة الانسانية وهم ثلاثة من حيث ان كلا منهم شخص مستقل بخلقهم وخلقتهم وفكرهم وذوقهم واحوائهم

(الحجة الثانية) ان الفقه الاسلامي مبني على الكتاب والسنة والاجماع والقياس وقد بسط الكلام في ذلك ابن خلدون في المقدمة وهذا نص ما هنالك "اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية واجلها قدرًا واكثرها فائدة وهو النظر في الادلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الاحكام والتكاليف. واصول الادلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فاعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاحكام تنقل منه بما يوحى اليه من القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس. ومن بعد صلوات الله وسلامه عليه تمذّر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر. واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً او فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم تنزل الاجماع منزلة لاجماع الصحابة على التكثير على مخالفتهم ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة. فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشياء بالاشياء منها وينظرون الامثال بالامثال ياجمع منهم وتسلم بعضهم لبعض في ذلك فان كثيراً من الواجبات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج في النصوص الثابتة فانسوها بما ثبت والحقها بما نص عليه بشروط في ذلك الخلق تصح تلك المساواة بين الشبهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه. وهو القياس. وهو رابع الادلة

"واتفق جمهور العلماء على ان هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس والحق بعضهم بهذه الاربعة ادلة اخرى لا حاجة بنا لدكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها. فكان اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة. اما الكتاب فدليله بالهجرة القاطعة في سنه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتال. واما السنة وما نقل اليها منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتضداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسل الى النواحي بالاحكام والشرائع امرأً ونهاياً واما الاجماع فلا تقايمهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة واما

القياس فإجماع الصحابة

قد عرفت على أي شيء ينبغي فقه المسلمين فأمر يكون منقولاً عن فقه الرومانيين وهو مبني على رسوم مدونة أو عادات جارية . أما الرسوم المدونة فهي كتاب الشرع ومراسم تجلس الاعيان وأوامر الملك ورسوم القضاة وفتاوي المنتهين

(الحجة الثالثة) أيسح في المعقول أن نقهأ نوفر على وضع قواعد و تحرير مسائله خلق من العلماء والفضلاء واشتغل باستنباط فروعه واجتهد في تنقيحه وتوضيحه مدة طويلة يكون منقولاً عن فقه امة سالفة مضبوط الاحكام بحور المسائل

وان كان ذلك فعلى م كل هذا الجهد ولم يبتياً لهم اتمامة لوقت قصير بل كيف اقتضى ذلك نحواً من قرن ونصف قرن حتى عظمت اصدار الاسلام وذهبت الأية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه واصبح صناعة وعلم كما قال ابن خلدون

(الحجة الرابعة) ان الفقه انقسم الى طريقتين طريقة اهل الرأي والقياس وهم العراقيون ومقتدمهم ابو حنيفة . وطريقة اهل الحديث وهم الحجازيون وامامهم مالك بن أنس والشافعي من بعده

وان اهل البيت شدوا عن الجمهور بمذاهب ابتدعوها وفقه الفردوا به وبنوه على مذهبه في تناول بعض الصحابة بالقدح وعنى قولهم بصحة الأئمة ورفع الخلاف عن اقوالهم . وان اطوارج شدوا بثل ذلك ولم يخفّل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوا جانب الانكار والقدح فلا نعرف شيئاً منها ولا نرى كتبهم ولا اثر لشيء منها الا في مواطنهم نكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والطورج كذلك ولكل منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة كما قال ابن خلدون

فيا ليت شعري من اين وقع كل هذا الخلاف بين المسلمين في الاحكام النقيية والقواعد الشرعية ان كانوا قد اخذوا الفقه الروماني وكيف اغلق اهل السنة باب الاجتهاد وهو لم يزل عند اهل الشيعة منترحاً فهل من ناظر في هذا يقبل هذا الهم

(الحجة الخامسة) ان الفقه الروماني يميز النبي ويقرر له احكاماً وهو في الدين الاسلامي محرفوض لا يقد جاء في القرآن "وما كان محمد اباً احدي من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"

(الحجة السادسة) ان الفقه الروماني يوجب على السارق ان يرذ اربعة اضعاف المسروق فمن سرق مائة يفرم للمسروق له اربعمائة وفي الفقه الاسلامي "اذا سرق البالغ العاقل الناطق

البصير عشرة دراهم جيد او ما قيمته عشرة دراهم من حرز لا شبهة فيه ولا تأويل وجب عليه القطع . فمن ذا الذي يعصّ عنده ان هذا من ذلك :-

(الحلجة السابعة) ان الفقه الروماني يحكم بقتل من يقتل ابنة ويقضي عليه بان يولج هو و كلب وديك وافعى وقرود في كيس جلد ويحيط عليه مع حؤلاء الندماء الاربعة ويرمى به في البحر او في اقرب نهر اليهم

اما الفقه الاسلامي فلا يقتل الرجل بابنه لقول النبي " لا يقاد الوالد بولده " كما سيأتي شرح القدوري ولم يميز قتل الاصل بقرعه من الائمة الا مالك قال اذا ذبح الرجل ابنة ذبحاً كما في الدر المختار

(الحلجة الثامنة) ان الامم السابقة الاسلام كانوا يورثون الذكور دون الاناث واما الاسلام فجعل الاتيين كالدكر ميراثاً كما في سورة النساء " للذكر مثل حظ الانثيين " هذا وقد بقيت حجة اخر تكفل بابطال هذا الرعم ودفع هذا الرعم اعرضت عنها ابتغاء الاختصار وفي النية ان اترجم مختصر الفقه الروماني باللسان العربي وهو مع ما اعاقى عليه من الحواشي لا يتجاوز ثلاث مقالات تنشر في ثلاثة اجزاء من مجلة المتتطف الجليلية

سعيد الشرتوفي

نسخة شعر ملتن

كان ملتن الشاعر الانكليزي المشهور غريباً كابي الملاء العربي فلم يكن يكتب اشعاره يدور بل كان يملئها على كاتب يكتبها له . وقد حفظت النسخة الاصلية من شعره المعروف بالفردوس المفقود و متعرض للبيع في شهر مارس المقبل . فقامت الجرائد الانكليزية الآن تحت الامة على ابياع هذه النسخة مهما بلغ ثمنها وحفظها في البلاد الانكليزية او في التحف البريطاني لئلا يشترها الاميركيون ويتلوها الى بلادهم . وربما بلغ ثمنها المئات من الجنيهات مع ان ملتن نفسه باع هذه النسخة وحق طبعها بخمسة جنيهات لا غير واما نددت الطبعة الاولى باع حق طبعها ثمانية بخمسة جنيهات اخرى . لكن الذين طبعوها بعد ذلك رجحوا منها الرقاً من الجنيهات ولا يبعد ان تكون قد طبعت حتى الان مئات من المرات وان تكون النسخ التي انتشرت بين ايدي الناس تعد بالملايين لانا لا نظن ان قراءة اشعار ملتن فانت احد من ابناء اللغة الانكليزية

حكم وامثال

قلت عن الانكليزية بقلم الدكتور يوحنا ورنيتات

اثبات يخشى منها حسد الصديق
وبغض العدو

الغضب ان غضبه عليه لا له

ليس للصدق والامانة حاجة الى التاكيد

الحق والزيت يرتفعان ابدًا

الحق لا يخاف التحقيق

الحق اصل كل فضل

الحق قد يضعف ولكنه لا يهلك

الحق لا يحتاج الى كلام كثير والباطل

حكاية طويلة

ليس من الحكمة ان يعلن الحق دائماً

جرب صديقك باكدوبة فاذا اسرها

فج له بالسر

جرب مبارتك اولاً بهاء الذهب ثم بالذهب

الفضيلة والسعادة ام وبنتها

الفضل وحده نسب كريم

اذا لم يكن الفضل في عمل فهو وهم

الفضل يكسب المرء في الارض شهرة

وفي التبرد كراً وفي السهارة خلوداً

الفضل قد يجلب احياناً ولكنه يسطع

اخيراً

النذور زمن سوء تنسى عند زواله

ترقب الزمان والمكان في ما تقصده ولا

تعجل

الحكم يستفيد من اعدائه اكثر مما يستفيد

الجاهل من اصدقائه

قيمة الشيء ما يأتي به

اشد الجروح خطراً ما تزف الى الباطن

احترق الناس واطراؤهم كلالها خطأ

لا خداع كخداع من تأتمنه فيخونك

لا رفة بلا جهاد صادق ولا عظمة بلا

اجهاد النفس

لكل داء دواء لو عرفناه

الفتح المستعمل لا يصدأ

اباطيل الحياة نهر ذاهب ابدًا وآت ابدًا

فضل الفلاح بالعفة وفضل الشدة بالعزم

سبيل النجاة من الكبائر الخدر من الصغائر

طريق بغداد لا يوصلك الى مصر

سبيل السلامة ان لا تامن

ليس للضعيف الا الفشل

قد تعد يدان الى صحن واحد واما الى

كيس واحد فلا

انما الخائف من لجأ الى السلاح اولاً

لا حاجة لطيبين بسمار

يختم كلبان على عظم فيهرب به كلب

ثالث

اذا اصاب الضيق اتين كان الضيق اخف

عصفوران على سنبلة واحدة لا يتفتان

مصفاة الصائب تفصل بين الاصدقاء
الصادقين والغثاء

النسمة الاولى بده الموت

الجرعة الاولى لارواء العطش والثانية
لاكفاء الطبع والثالثة للذة والرابعة للجنون

الذنوب الاولى لمن يرتكبونها والثانية
لمن يسمعون بها

كان اول الناس بنتانياً وفلاحاً وراعي غنم
العالم شرير ونحن منه

خير للانسان ان يمشي الشر من ان
يعمله

بالمقابلة سعد الانسان او يشقى
السقوط في الشرك سهل ولكن الخروج
منه عسير

حفظ الصديق اسهل من رده بعد فقدو
من العيب كلام العقل حيث لا يسمع

لا يولد المال الا المال

بالفعل لا بالقول يجني الثمر

الخير والشر في النية لا في العمل

لا تترك نعيم نفسك ولو كثرت الناصحون لك

ارقب عدوك كأنه اسد ولو كان فارة

الخير اما يسر او يحزن

الزمان والتأمل يخفنان اعظم الاحزان

الزمان يفترس كل شيء

الزمان يحقق كل شيء

اخف الشرور ما جاء وحده

التكلم على الختم دليل ضعف الحججة

لا خير في شجاعة بلا فطنة

في الرذيلة قصاصها وقد يكون بروها

شراً ما في الرذيلة اذا تردت برداء الفضيلة

الفضل وحده سعادة الدنيا

الخطوة الاولى نجر الفضيلة الامتناع

عن الرذيلة

جهاد السمك في الشبكة يزيد عرقلة

قد تصطاد السمكة بالشبكة اذا لم تصد

بالصنارة

رب حماقة انسان تكون خيراً لغيره

من قبض على الثعلب فهو احب منه

القبر يجمع عام

اعظم اعمال الحياة التأهب للموت

اشره الناس من يعيش على التيعة فانه

لا يشبع ابداً

اشد البغض ينشأ من اشد الحب

اعظم ما تفيظ به حاسدك حسن العمل

قلب المرأة ثروتها فقلها لا يكون دليلاً لها

بقدر ما يكون القرطاس ناصح البياض

تكون اللطخة اظهر

كثيراً ما يكون الطريق الطويل اخصر

الطرق للوصول الى البيت

يحزن الاب على موت ولديه اكثر مما يفرح

لولادة اولاد كثيرين

لا تركن الى نصرة العظام ولا الى

مدح الناس

الخوف من الحرب شر من الحرب

من يلعب بالسيف يجرح
 من يفتش عن ذنوب الناس لا يرى غيرها
 من لا عيب فيه فهو من عجائب الدنيا
 متى بلغت الثوابت حدما زالت
 ما يناله الانسان بالعناء تطول اقامته
 ما يناله الانسان بالحرام فعاقبته وخيمة
 تأمل كل حكمي وتكلم كما يتكلم الناس
 تأمل كثيراً وتكلم قليلاً وأكتب اقل
 مما تكلم

من يسيء الى الغير ثم بهم ليستر ما يبد
 من الشر
 الحية لا تملأ العدل ولكنها تشارك
 في ذلك

قد يبرأ الجرح وتدمم الندبة
 قد يفقد الذئب انايته ولكنه لا يفقد
 اخلاقه

لرجل الافدام بصير الاحتمال ترجيحاً
 والترجيح تأكيداً

البكاه الكثير على الميت اهانة للاحياء
 الى ابن يذهب الثور الى الفلاحة
 من يجهت له يسرك فقد صرت له اسيراً
 يصير احتمال الانقلاب العظيم السريع ولو
 كان نافعا

اذا فاتت الفرصة فات زمن الحزن
 التأكيد الشديد محل للشبهة
 اذا كثرت المشورات ارتبك الانسان
 التفريط في الرفق تفريط في الدهاء

من الف شيئاً ازدرأه
 التجارة أم المال
 التجارة لا تعرف صديقاً ولا قريباً
 السفر مصلحة للعاقل ومفسدة للجادل
 لا تأمن من ثقلاً عظيماً غليظ ضعيف
 لا تأمن حافر الفرس وناب الكلب
 لا تأمن صديقاً جديداً ولا عدواً قديماً
 درهم الفقير اذا غضب كان حجرة نار في
 كيس الغني

المسرف يسلب ريشة والبخيل يسلب نفة
 دواه الضرر الاغضاه عنه
 توبخ الصديق يجب ان يكون نسطاً
 عادلاً لا متواتراً

البحر لا يرفض نهراً
 قد يكون مرض الجسد شفاء للنفس
 احذق الناس بلا مال تعنقر
 اسعد الحياة حين لا حاجة للكليات ولا
 للضروريات

المعدة تحمك على الجسد
 المهارة في تكثير الاصحاب دون المهارة
 في الاستغناء عنهم

المستقبل كلما هي ليس لنا
 حب العلاء شرك لحبيب الاصل
 شذائد الحياة تجاريب لما فينا من الفضل
 اذا سقطت الشجرة ركض الياكل
 واحد بفأسه
 انما الجديد ما ادهش الناس

طاعة الاولاد للوالدين اساس جميع
الاحكام

تستحسن البومة صفارها

متى تعب الثور ثبتت خطواته

اذا اصفر وجد الريان انذر بالعافية

سبيل الفضيلة سبيل السلامة

قلم اللسان يجب ان يفظ بمداد القلب

الناس يعبدون الجهل اذا تكلموا من ذهب

تزول المسرات اذا تمتى المرء ما هو
اكثر منها

اعلى الغصون ليس آمنها للتمشيش

المرائي يخذع الناس بدفع الزكاة لله

يقضى على القاضي متى فضى براءة المذنب

الكاس تطفخ من النقطة الاخيرة

الكسلان اخو الشجاذ

حياة الانسان يوم شتاه وطريق شتاء

ليس سيف الاسد نصف العترة الذي

ينسب اليه

اطول الحياة ضمة من الدقائق

الحب الذي ليس لدوامه الا الجمال قليل

الدوام

ينفق على رذيلة واحدة اكثر مما ينفق

على عشر فضائل

العاقل يجاهد ابدا في طلب الحكمة

والجاهل يظن انه قد وجدها

العبيد في كل شيء اندر من العتقاء

للطعام رؤوس كثيرة لا عقل فيها

اعمالك لا تجاحك ما يبقى لك ذكرا

تدبير الفينة بالخذق لا بالقوة

القشة الاخيرة تكسر ظهر الجمل

غنى العقل يغني ويسعد

الزمان والكلام والعمل تملن شأن

الانسان

من الحكمة ان يتجاهل الانسان احيانا

اذا اردت الاسم الحسن فكن كما تريد

ان تظهر

الفضل في عمل الصلاح واتقان العمل

اليوم تليذ الامس

اذا فد الذوق صار الخلو مورا

الشجعة تستثير الشجاعة

ثلاثة تحفظ الصديق اكرامه اذا حضر

ومدحه اذا غاب وعضده في الضيق

ارسله ويرغوث في اذنه

الكلام بلا تفكير كرمي السهم بلا تصويب

اذا كثرت معارف الرجل كثرت خطراته

اذا كثرت القوانين كثرت المذنبون

الذهب في ثم الصباح

شمس الصباح لا تدوم كل النهار

الذ المسرات مملول اذا لم يكن فيها

تنكيل

الله يعلم ويصبر وجاري لا يعلم شيئا ويوم

كثرة المذنبين حماية لهم

اتقع دواء للضرر النيان

لا تعد البومة حكيمة لا اعتراضا

لا تصبر حتى تزول الشدائد فان النخز
في التغلب عليها
اذا لم تنخر الشجرة في الربيع لم تنخر في
الصيف

همز الفرس في غير حينه يعطبه
استعمل الوسائط واتكل على الله
لكل جرح بلسم
في البحر من خيار السمك مثلاً يخرج منه
بين الكاس والفم عثرات
لا دواء للخوف
نكل شيء سبب
لا فرح بلا حزن
من لهم اصدقاء صادقون فهم الاغنياء
ما من قاعدة الا لها شذوذ
افصح اللصوص الكتاب التبيخ
ما من شيء يعود على النفس بالسرور
كعمل المعروف او الكلام اللطيف
الصباغ الاسود يسود الصوف معاً كان
ياضه ناصعاً

لا يمدح الا من كان كبير الثقة
الفرح بالاولاد اول من الحزن على فراقهم
لم يكن الكبار لو لم يكن الصغار
الاشرار يغضون الشرقي غيرهم
الزوجة مفتاح البيت
في العقل فراغ اعظم مما يظن أكثر
الناس لو شغلوه بالقوائد
دم الجندي يجد القائد

الغصون الحاملة أكثر الاثمار اخفض مما
سواها
حيل التغلب قلما تجدي نفعاً اذا لاعبت
كف الاسد

الهمم الذي يجي من عدم التروي يجب
ان يحمل بالصر
غرفة المربض معبد
ليست غاية الانسان العظمى ربح المال
امرأة الاسكاف حافية
التلقق أكثر البضائع رواجاً
سبيل الغرام لا يكون سهلاً
شرك الشيطان للشاب الجمال والنجيل
المال وللعاالم الضلال

كل شيء يخرج من الارض ثم يعود اليها
الجزر يعود بما آتى به المد
المساء يأتي بالكل الى البيت
العين لؤلؤة الوجه
مراقبة السيد افضل من يديه
يضر نفسه من يضر غيره
من يخاف الانقلاب فقد غلب
من يخفي شيئاً يجده
من يضحك دائماً ومن يضحى دائماً سواه
في الحماقة

من لا قيمة للمدح عنده لا يعمل شيئاً
يو جديراً
أكبر الناس يموت اخيراً

آفة المعامل

من رأى العال في معامل الحرير ببلاد الشام وهم صفر الوجوه بنماف الابدان وعلم انهم يقضون نهارهم وبعض ليهم في اماكن مزدحمة فاسدة الهواة قليلة النور والاجور التي يأخذونها لا تزيد على حاجاتهم اليومية يتضح له ان المعامل آفة على العال وهذا الثمر الذي دخل بلاد الشام والمحصر في معامل الحرير لانه لم ينشأ فيها معامل غيرها شائع في البلاد الاوربية والاميركية لكثرة المعامل فيها على اختلاف انواعها. وقد كنا نظن انه في اميركا انفس وطأة منه في غيرها لما هو مشهور من انها جنة العال كما هي جنة النساء لكن قامت في هذه الاشياء ميدتان اميركيتان وطافتا في المعامل وانظمتا في سلك عالها حتى وقتنا على احوالهم تماما ثم البنا كتابا ومننا فيه حالم فيها وصفا نشعر له الابدان. وقد مر المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بهذا الكتاب وقد مر منه نقما عظيما وكتب له مقدمة بنفسه لانه اذا ظهر الداء واتضح سهل علاجه

اخارت احدي هاتين السيدتين مدينة تسبرج الكثيرة المعامل فان فيها مئة الف عامل من الرجال ومئة الف عاملة من النساء والبنات ودخلت معملا منها تَصنع فيه المغللات وجعلت نفسها في عداد العال ولم تُقبل فيه كذلك الا بسد الجيد وكتبت تقول عما عملته في اليوم الاول "وقفت منتصبة على رجلي" عشر ساعات متوالية ملأت فيها ٤٠٠٠ اناك بالمغللات ومددت ١٣٠٠ باثليز". وبعد ان قضت اسبوعا تعمل هذا العمل اخذت ترحي في مصاف العال شيئا فشيئا. وقد استنتجت مما رأتها بالاخبار في هذا المعمل ان اجرة المرأة همما ارتفعت لا تزيد على اقل اجرة يعطاه الرجل. وان النساء تعمل الاعمال التي يترفع عنها الرجال وان المرأة مما برعت في عملها لا تزيد اجرتها على ريال في اليوم ولا تبلغ هذا المد الا بشق النفس وبعدان تنهك قواها العضلية والعصبية

ثم انقلت من معمل الخلال واستخدمت في معامل التعمان واخطاظة باليد وقالت في وصفها وجدت النتيات العاملات هناك يكثرن من الاعشاء بزيتين وحسن بزيتين اما اطعمتين ومساكنهن فمخالفة للقواعد الصحية وحسن سريعات الاحساس خاليات من العواطف. وكثيرات منهن لسن في حاجة الى العمل في المعامل فقد قالت احداهن: "ان والذي يقدم لي كل ما احتاج اليه ولكن ليس كل ما اطلبه". فبين يستغلن ليحصلن ما يبدلنه في الدخول الى الاجتماعات الصهيونية والمراقص والمراسم. وبالفتن في ضروب الزينة

والزخرفة فالمناطى الحريرية الملوثة تبيط بمخسورهن والشرايط الزلمية تندل من اعنائين
والرياش والعصافير والازهار تخرج فوق برانطين والقنع تقطن وجوههن والكشوف البيضاء
تسار ايادينه واكياس النقود الفضية تندل من فوق ثيابهن

ثم قالت هذا هو السبب الذي من اجله تذهب كثيرات من الثيات الاميركيات ليعملن في
المعامل طول نهارهن . وطن رغبة شديدة في الذهاب الى مراح التمثيل فيلبن ما فوق
طائنين من الثياب المزخرفة حتى يستنج الناظر اليهن انهن يترددن على المراح ليس تشوقاً
لمشاهدة التمثيل بل ليتبارين بالازياء ومع انهن يكسبن من الاجرة أكثر مما يكسب
اسألن في انكلترا وغيرها من بلدان اوربا فهن لا يتنعن به حتى الانتفاع

وذهبت السيدة الثانية الى معمل الاحذية في مدينة لين فوات احوال العمال هناك لا
تختلف كثيراً عما هي في المعامل المذكورة آنفاً . اما في معامل القطن في كارولينا الجنوبية
فالمعيشة واحوال الحياة مما يقضي بالدهشة والرعب . فان العامل هناك ليس سوى رقيق ايض
قلما يفرق عن الرقيق الاسود . خذ مثلاً ذلك المعمل العظيم الدعو اكسليور الذي يعمل فيه
سحو ثلاثة آلاف عامل . فانه يبني على رمال فاحلة وراءها القرية التي يقطنها العملة . وقد
حلت الاوبئة في تلك القرية ضيقاً شديداً لا تتارقها والاقذار والاوساخ تملأ الازقة والشوارع
لعدم وجود من ينقلها فتنبث منها رائحة كريهة تنفي منها النفس وتغدر الاعصاب . اما
المعمل فييد عن القواعد الصحية في مرتبه وكيفية بنائه وطرق المعيشة فيه . فالهواه الذي
يتنسه العملة ملوثة بدقائق القطن وخيرطه الدقيقة وعم يتناولون السوط من اكبرهم الى اصغرهم
فتبرش افواههم وتسود اسنانهم . ويشكون من الامراض الرئوية كانسلس والتهاب الرئة .
واكثرهم ليسوا من المدن والقرى المجاورة بل يؤتي بهم من الاماكن البعيدة بواسطة المقدمين
الذي يطغونهم ويعدونهم المواعيد الكاذبة حتى يأتوا بهم الى ذلك المعمل

والذين يعملون في معمل انف التزل يعيشون في هواه انة . من هواه معامل الفزل ظهور
من دقائق القطن الا ان الفزل يبني هناك رطباً دائماً فيشكو كثير من العملة امراض القلب .
وفوق ذلك فالملا ربا تنتك بهم فتكاً ذريعاً

ويقوم الرجال والنساء والاولاد في الصباح من ابن خمس فصاعداً ويتقاطرون افواجاً
الى المعامل ليقضوا نهارهم بالعمل والكدح ثم يرددون في المساء الى بيوتهم منهوكي القوى فيرتعون
على فرشهم القذرة ثياب العمل وينامون الى الصباح . وباتي في الصباح رجل راكباً جواداً
يجري عليه من بيت الى اخر يستخدمه اصحاب المعمل لياتي بالمتأخرين الذين انك قوام التعب

فلازموا فرشهم لسترهم . يأتي فيقتلهم من فرشهم ويضطرهم الى الذهاب للعمل . وترى اطفالاً يذوقون الى العامل ليصاوا فيها ثلاث عشرة ساعة كل يوم وطليم ثياب قدرة رثة لا تتغير صيفاً ولا شتاء . فلا يذوقون لذة ايام الصغر ولا الايام المدرسية بل ينعمرهم بحر من الشقاء والبؤس يعملون من الساعة السادسة صباحاً الى السابعة مساءً ولا يسترجمون الا ثلاثة ارباع الساعة عند الظهر يتناولون فيها طعامهم فذلك تراه منهنكين ابداً اذا انقطعوا دقيقة عن العمل وقعوا فيها في سبات عميق

ومساكن هؤلاء العملة اكواخ حقيرة لم ترع في بنائها اصول النظافة والصحة والراحة والمياه التي يشربونها قدرة يغطي وجبها غشاء كثيف وتكثر فيها جرائم الحميات . وليس هناك ازهار تعش رائحتها القلوب بل روائح الاقدار المتجمعة في الازقة والشوارع تملأ الفضاء . ولا مدارس للاولاد ولا حدائق للتنزه . والعامل الذي يستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً ويميل الى ما بعد مغيب الشمس لا يبقى فيه من النشاط والحياة الا ما يرتقي به على وسادته الى الصباح التالي . والامراض واسعة الانتشار والموت كثير ولا تفتي تلك الولاية باحصاء المواليد والوفيات

فلا غرابة اذا بان تظهر الهيئة الوحشية القبيحة على وجوه اولئك الناس الذين يعملون تلك الاعمال الشاقة ويسكنون تلك الاكواخ الخفية القدرة الخائفة للجمحة ويتناولون الطعام الخفيف ويشربون الماء الفاسد . واذا دخلت فتاة او امرأة تلك العامل وعلينا شيء من ملائع الجمال اضطهدا النظار والمدبرون حتى يقيج وجبها ويصير كوجه رفيقاتها . والزواج هناك لعبة والحب حلم والبيت بمعانيه الشريفة مفقود من عالم الوجود فليس للوالدين وقت يعتنون فيه باولادهم ويربونهم بل يستصحبونهم معهم الى العامل من سن الخامسة والسادسة

وليس العامل في تلك العامل الا رقيقاً ايض . والغريب ان العملة كثير اللطف والحنان ولم يزل فيهم بعض الايصال الشريفة فيجبون الازهار ويشوقون الى الحصول عليها واستنشاق زواجرها العطرة . ويحبون الموسيقى ولكن لا يسمعونها الا نادراً . وفي ايام الاحاد يبقى اكثرهم نياماً في اكواخهم لانتهاك قوامهم ومعجزهم عن النهوض . وهناك عديسة مقفرة يذهبون اليها في بعض الاحيان

هذه حال بعض العمال كما وصفتها هاتان السيدتان في كتابهما . ولا شك في انه متى اطلع جمهور الاميركيين على حقيقة الامر ينهضون نهضة واحدة ليدافعوا عن اخوانهم ويتصوفهم من اصحاب العامل الذين يسوقونهم سوق الانعام . وعسى ان لا ينتشر داء العامل عندنا لانه منها كثرت فائدتها لاصحابها فضررها بالعمال ينوق كل فائدة

فوز الاحداث

حدّ الحداثة لا يقف عند حدّ . فالولد البالغ الثامنة من عمره ينظر الى الرجل البالغ الثلاثين ويحبّه شيئاً طاعناً في السن ولكنه حينما يبلغ هو سن الثلاثين يستدبر بصره عمياً يبدو منه من الطيش وتزق الشباب . والنساء البالغة السادسة عشرة من عمرها تلوم المرأة البالغة الاربعين اذا اهتمت بشيء من زينة الدنيا ولكنها متى بلغت هي هذا السن تعدل عن رأيها الاول فتحسب انها لا تزال في سن الثيبية وربيعان الصبا ويحسب لها الجمال والدلال وهذا القول يصدق اجمالاً على الهيئة الاجتماعية فان من الحداثة يتقدم بتقديمها . وقد لقب البعض هذا العصر بعصر الشبان على اننا لم نر فيه من الشبان النوايح من اتي من الاعمال الجيدة ما هو خليق بان يقابل باعمال داود والاسكندر وبونابرت وغيرهم

أنتخب احد الاميركيين بالامس عضواً في مجلس النواب وله من العمر سبع وثلاثون سنة فقام كثيرون يمترضون على هذا الانتخاب ليعترضوا من المنتخب وفي ظنهم ان الحكومة تعرّض نفسها لاطّار شديدة باعتمادها على رجل صغير السن قليل الخبرة مثله . وقد كان جيمس فكس الانكليزي منذ قرن ونصف وزيراً للبحرية وكان الملك جورج الثالث يخاف باسمه وهو لم يناهز الحادية والعشرين . وكان وليم بت خصمه اللدود وزيراً لمالية الدولة الانكليزية وهو في الثالثة والعشرين من عمره ثم صار رئيساً لوزارة انكلترا في السنة التالية

ويذكرون الآن حداثة ملك اسبانيا وبلقبونه "بالملاك الصغير" وقد كان الامكندر يفضو بحار المعارك وهو في الثامنة عشرة من عمره ايام كان العالم في حداثة ولم نسمع انهم كانوا يلقبونه "بالامير الصغير" . وكان البرنس ادورد الانكليزي الملقب بالامير الاسود في الثامنة عشرة من عمره لما انتصر على الفرنسيين سنة ١٣٤٦ في معركة كريسبي الشهيرة فاكسب امته شهرة لا يححوها كزور الزمان . ولم يكن قد ناهز السادسة والعشرين من عمره لما قاد الجيش الانكليزي في معركة بوتيرس العظيمة فهدر جيوش الفرنسيين ونال نصراً مبيناً

وإذا قابلنا بقية نوايح هذا العصر الشباب بنوايح العصور الماضية نرى فرقاً كبيراً عن حيث السن الذي اشتهروا فيه . فقد ظهر في الولايات المتحدة منذ ستين نابعة في فن الموسيقى والضرب على الكنتجة وله من العمر عشرون سنة فاعجب به الناس وقالوا انه متى جاوز العشرين صار له شأن كبير في فن الموسيقى وقد كان موزار منذ مئة عام مديراً لفرقة الموسيقيين

وهو لم يناهز السادسة عشرة من العمر ولما كان عمره ست سنوات ضرب على البيانو حواخنة امام ماريا تريزا امبراطورة النمسا

ومن اهل هذا العصر من يدعو الامبراطور غليوم الثاني امبراطور الالمان شاباً مع ان اولي الامر يبحثون في مسألة زواج ابنه . ومنهم من يحسب المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة شاباً ولذلك فهو غير كفوء للصب العظيم الذي رقي اليه ويحسب اللورد كورزن حاكم الهند شاباً مع انه بلغ الاربعين من عمره

واذا تصفحنا التواريخ القديمة تراها مفعمة باسماء النوابغ الثبان الذين عملوا اعمالاً مجيدة تفوق ما ياتيهم نوابغ هذا الزمان . فالملك داود النبي جعل ملكاً على اسرائيل وهو في الثامنة عشرة من عمره . والاسكندر المكذوني اضاف كل العالم الشرقي الى المملكة اليونانية وهو لم يناهز الثالثة والثلاثين . والملك شارلمان دانت له فرنسا وهو في الثلاثين من العمر . والقائد كورتز افتح بلاد المكسيك في الثلاثين من عمره . ونبوليون بوناپرت اكنح بلاد ايطاليا وطرده الجيوش التساوية منها وهو لم يناهز التاسعة والعشرين . ثم اذا حولنا انظارنا عن ارباب السيف وقواد الجنود الى ارباب العقول السامية ممن نبغوا في الاختراعات والفتون نراهم لا يتقصون عنهم في الشأن والعدد . فان جيمس وط رأى قدر جدته تعلى على النار فيتحرك غطاؤها بقوة البخار وهو فتى صغير السن فتوصل الى اختراع الآلة البخارية . ورفائيل المصور الشهير مات في السابعة والثلاثين بعد ان خلف اسماً لا يموت على كرور الايام . وشلي الشاعر الانكليزي صلد من نوابغ الشعراء وهو في الخامسة والعشرين . وجون رسكين الشاعر والمؤلف الانكليزي الشهير بلغ اقصى ذرى الشهرة وهو في الرابعة والعشرين من العمر

واشهر قصص الثبان العظام قصة الملك داود النبي الراعي الذي غادر آكام يهودا حيث كان يعني لقطاعته ويسامر النجوم ليحبي ذمار قومه ويدفع عنهم شر جنيات الفلسطينيين الجبار . فغض الاله اب جميل المنظر بارز اعظم جندي في ذلك الزمن واكبر الجبارين هامة ابتدره يبحر من مقلعه اصاب جبهته فرماه صريعاً ثم صار ملكاً على بني اسرائيل

واعظم فاتح في الزمان القديم الاسكندر المكذوني . كان قائداً عظيماً وهو شاب فهاجم اعظم ملوك عصره واكبر جيوشهم كأنه القضاء المبرم فلم يقف في وجهه عدد ولا عدد . خاض غمرات الردى غير هياب ولا وجل فاكنح نراسيا والبريا وازافهما الى الاملاك المكذونية وهو في الحادية والعشرين من عمره . وافتتح مدينة طيبة ودمرها في الثانية والعشرين واستولى على مدينتي صور وغزة وافتتح مصر ربي الاسكندرية وهو في الرابعة والعشرين . ولقي جيوش الفرس

فكسرها شر كسرة وذلك ملكها وهو في الغمامة والعشرين ثم اغار على بلاد الهند وافتح جانباً كبيراً منها ففضى عمره ولم يذق إلا حلاوة الظفر ولذة الانتصار
ورسائل الاسكندر الى الملك داريوس محفوظة بين كنوز الرسائل والمراكبات الشهيرة .
فانه لما هزم جيش الفرس البالغ ست مئة الف عدداً في معركة اسرس سنة ٣٣٣ وامر زوجة داريوس وامه وابنه وكتب له داريوس يعرض عليه التسليم ويطلب منه استرجاع طائفة اجابه وقد سكر بخمرة الانتصار فقال : " خاطبني كملك اسيا ولا تخاطبني كما يخاطب الظهير نظيره واطلب مني ما تشاء كما يطلب المرؤوس من رئيسه والا فلا تجد مني الا الشر . وان كنت تنكر علي حتى التملك على بلادك فتربص في مكانك واستمد طرقي ولا تقرب من وجهي والا فسأتبعك حيثما تقرب " .

ولما كان الاسكندر يحاصر مدينة صور بعث اليه داريوس يعرض عليه ان يقبل له عن كل البلاد غربي الفرات ويدفع اليه عشرة آلاف وزنة ويوجه ابنته ويكون حليفاً له ولا يطلب منه بدل ذلك كلو الا ان يرده اليه امه وزوجته واولاده . وقرأ الاسكندر هذا الكتاب في مجلس من قواده فقال له بارمنيون كبير القواد لو كنت انا الاسكندر لصالحت داريوس على ما طلبه فقال له الاسكندر وانا لو كنت بارمنيون لعلت ذلك ولكن لكوني الاسكندر نجواي الان هو جوابي الاول . ثم كتب الى داريوس بقول " لقد عرضت علي قسماً من املاكك وانا سيدها كلها ولو شئت ان اتزوج بابنتك لعلت ذلك من غير ان استشيرك " . وبعد كتابة هذه الاسطر عاد الى تبسة الجيوش واعداد المعدات لكي يتم اخضاع الفرس فتم له ذلك في المعركة المعروفة بمعركة اربل . هناك قوض دعائم مملكة الفرس العظيمة وهو لم يتأخر الغمامة والعشرين واستولى على كنوز السولة النارسية وخزائنها وما فيها من مئات الملايين

اما نعمة حياة الاسكندر فلا تقابل باعماله الجيدة وفتوحاته السابقة . اسكرته حجرة الظفر فشمج وتكبر وطني ويحبر فطلب ان يمد كاله ولم يعد يقبل مشورة احد . وامر بتعذيب صديقه فيلوناس وهو يشاهده ويقهقه فحكماً ويقتل بارمنيون وزيرو وقائد جيشه وبتعذيب كالثنين ابن اخ الفيلسوف ارسطوطاليس استاذو لانه ابى ان يقدم له الاكرام اللائق بالالهة . وطنم وهو سكران صديقه كليتيوس الذي نجى حياته من المازك في معركة غرانيكوس وقد قام في اوائل القرن الماضي رجل فاق الاسكندر المكردوني في قيادة الجيوش واساليب الحروب وهو نابوليون بوناپارت . الاسكندر ورث السولة وتاج الملك من ايده وغاية ما

فعله انه وسع ملكه الموروث توسيعاً عظيماً . واما نابوليون فولد من السوقة ثم مهد الصعاب بعزمه وحزمه وتغلب على الصعاب واستخدمها لبناخ ماريه . ولد في جزيرة كورسكا من عائلة لا ثروة لها ولا جاه ردرس في احدى المدارس الحربية ثم ارتقى رويداً رويداً الى ان صار امبراطوراً على فرنسا وسيداً على اوروبا وهو في الخامسة والثلاثين من عمره . وخطر له وهو في الثامنة والعشرين من عمره ان يناوى انكلترا ويستخلص منها املاكها الشرقية فاستولى على مصر استعداداً لهذا العمل العظيم . ولكن الاسطول الانكليزي تبع اسطوله وحمله في ابي قير وارتد عسكره عن اسوار عكا مقهوراً فتغاب مساعيه في الشرق وعاد الى فرنسا وكانت الاحوال على غير ما يشتهي فتغلب عليها ومهد الصعاب فدانت له وقلب الحكومة الدستورية مدعيًا انها هي السبب في عجز الفرنسيين عن حفظ الاملاك التي اكسبهم اياها بانتصاراته فتوحاته وجعل نفسه قنصلاً

والذي فعل كل هذه الفعال العظيمة لم يكن سوى شاب قصير القامة قليل الكلام مخور يحب الرفعة الى درجة لم يبار فيها احد ثم اقام نفسه امبراطوراً على فرنسا ووطى بجيشها اوروبا وهو من اصل ايطالي

ومن غرائب الامور ان فرط الذكاء والنجابة اذا بكرًا في الظهور كلفا الانسان ما لا يطيقه واديا به الى عاقبة وخيمة على حد قول الشاعر

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فاذا رجعتنا الى التاريخ وجدنا فيه اصدق الشواهد على ما قلنا . فان الامسكندر الفاتح الكبير عاش حتى وجد الموت احلى من الحياة . وداود اضطر ان يحارب ابنة ويراها قتيلًا امام عينيه . ونابوليون قضى زمن الكهولة سجينًا في جزيرة . وتشترتون النابغة الانكليزي ادهش اوروبا بالاشعار البليغة التي كان ينظمها وينسبها الى قس عاش في القرن الخامس عشر فانطلى هذا الخداع على العلماء والمؤرخين واهتموا له اهتمامًا شديدًا حتى تبين لم اخيراً ان تشترتون هو الناظم . وضافت بتشترتون سبيل المعاش وسدت في وجوه ابواب الرزق فلعن حرفة الادب وشتم صناعة الشعر وشرب السم فمات وله من العمر سبع عشرة سنة وتسعة اشهر . انتهى ملخصاً من مقالة لروبرت وليمس في مجلة منسي الاميركية

الامير بشير الشهابي

ختنا الكلام في الجزء السابق في ما كان من مقتل جرجس باز واخيه والتنكيل بابني الامير يوسف . ولا بد من ان يكون اهالي لبنان قد ساءم غدر الامير برجلين لها منزلة كبيرة في نفوسهم وباميرين لم يرتكبا وزراً ولا يبهما اليد البيضاء عليه لكن خدم السعد الامير حتى انهم ما فعل فان رجوع الوهابيين من وجيد من غير قتال احل اللبنانيين عمل الظافر والظفر بجلا صدأ القلوب . ثم زاد تعلقهم بالامير اذ ادخلهم دمشق الشام ظافرين واخرجهم منها غائمين ذلك ان الدولة العثمانية ولت سليمان باشا والي عكا على دمشق الشام وتركت له امر الوصول الى تلك الولاية وتخليصها من يد واليها يوسف باشا فدعا سليمان باشا الامير بشيراً وخلا به واطلعه على فرمان الولاية واستشاره في كيفية دخول دمشق والاستيلاء عليها لانه كان يعلم ان يوسف باشا عزيز الجانب لا يترك الولاية طوعاً وهو كثير المال والرجال فلا يستطيع ان ينزعها منه كرهاً وقال للامير بشير ان كنت تساعدني فدعنا نسر الى دمشق حالما يخرج يوسف باشا الى الحج . فقال له الامير ليك انا ورجالي في خدمتك . وكتب سليمان باشا من ساعته الى جميع الاعمال التابعة ابالة دمشق يعلمهم بذلك ويدعوهم اليه . وفي الغد رجع الامير بشير الى مرج عيون وارسل وجمع اعوانه من لبنان فاجتمع رجاله ورجال سليمان باشا عند حاصبيا وساروا نحو دمشق . وبلغ يوسف باشا ذلك وهو في المزاريب على طريق الحج فرجع الى دمشق من فورهِ وتحصن فيها . فارسل سليمان باشا الى ادالي دمشق يعلمهم بان الدولة العلية امنت عليه بالولاية . قال تاريخ الاعيان فخرج اليه بعضهم ووقفوا على فرمان الذي يده فاشار عليهم الامير بالتسليم قائلاً اني آخذ بيد مولاي واجلب عليكم عساكر مثل قطع الغمام ولا احول حتى اسلم المدينة ولو خراباً فان قبلتم نصيحتي فاطردوا يوسف باشا من عندكم ولا تلقوا بايديكم الى التهاكة . ولما رأى الدماشقة توارد عساكر لبنان اضطربوا وطلبوا المهلة ثلاثة ايام فامهلهم وعادوا الى يوسف باشا فاخبروه بما راوا وسمعوا واثاروا عليه بالتسليم ونشب القتال بين جنود يوسف باشا ورجال لبنان فانكسر يوسف باشا وعصاه جنوده لانه كان قد مطلبهم في دفع روايتهم ففهم قوادهم على امواله ونهبوها فقرهارباً الى طرابلس الشام وسار منها الى مصر ودخل سليمان باشا والامير بشير المدينة فالتقاهما الدماشقة بالاجلال والاکرام وجلس سليمان باشا في دار الوزارة واطلق الامان وعين الولاية على الاقاليم وجعل الامير قاسماً بن الامير بشير والياً على بلاد جبيل واخاه الامير خليلاً والياً على البقاع وجعل

على دمشق رجلاً اسمه الكنج احمد فقام عليه الدماشقة لانه كان قد ظلمهم في عيد الجزائر فاغلقوا ابواب القلعة ووجهوا مدافعها الى دار الوزارة وبلغ سليمان باشا ذلك فاضطرب وارتيك في امره فدعا الامير بشيراً واستشاره في ذلك ونوَّض اليه التدبير فعزل الكنج احمد وارسله مسلماً الى القدس واقام مكانه رجلاً يعيل الدماشقة اليه فسرخوا بذلك وزالت الفتنة . وعاد الامير بشير الى بلاده . وكان لقدمه بهجة عظيمة في البلاد ومدحه العلم نقولا الترك بقصيدة ليست من جيد الشعر ذكر فيها قيام الوهاية وعيتمهم ببلاد العرب وبعيتمهم الى بلاد الشام الى ان قال

وقاموا بهذا العام بغون بعده
فبادر والي امرها الكنج يوسف
ومن حصن عكاسا للحرب مسرعاً
ونادى بانتظار البلاد الوحي الرسي
فلجى النداء بجر الندى قاهر العدى
بشير الملا بالنصر واليمن والعللا
وسار ومن احزاب قيس امامة
قروم صناديد قروم اماجد
امامهم الشيخ الذي شاع بطشة
هو الجنبلاطي البشير النقي الذي
لديو رجال كالشواهرين ان سطت
فقل لاسود البدو ترتد خشعاً
امير له في كل تقع وغارة
اذا غشي العبياء وانتضت حاجباً
له في الوغى للفتك باع مشرع
صبور على الجلى وان طال جورها
باتباليه قد طاب قلب وزيرنا
ولما سرت اخباره للعدي نأوا

دمشق وفي ارض المزاريب جمهروا
الى صدم لما اتاه الخبير
سليمانها الشهم الوزير القنضفر
الى مشهد فيه النقي ليس يخسر
شباب الهدى ذاك السعيد المظفر
امير به اعتر الوالا والتامر
رجال كاساد الفرائس تزار
اسود صاب للوغي قد تصدروا
امام شديد اليأس في الحرب مشهر
هو الركن فيه طود لبنان يعمر
ترى القوم منها كالتصاوير تنفر
فقد جاءهم ليث هزير يرتعير
فعال واهوال الى الحشر تذكر
على الجيش قالوا ما دريد وعنتر
وماق خلوص الثائبات مشير
حزوم شديد الرأي لا يتصمر
فبات يذيع الحمد عنه ويشكر
ومن بعد اقدام لولا وتأخروا

ثم استطرد الى تولية سليمان باشا على دمشق وزحفه عليها مع الامير بشير وانشاب نار القتال بين جنودها وجنود يوسف باشا ودخولها دمشق ظافرين وعودة الامير الى لبنان الى ان قال

فعاد الى الاوطان عودة ظانراً بعز الى يوم القيامة يذكر
ولاح علينا منه اشراق طلعة من الكوكب الرضاح ابهى وابهر
وشرف اوطاننا به طاب عيشها وانشا لها شاتناً الى الدهر يذكر

وحدث بعيد ذلك حادث عجلي جاء مؤيداً لما يمتقده اهالي الجبل من علوهمه الامير
وحسن رأيه وتدبيره وذلك ان الجراد اقبل على البلاد وانتشر فيها وغرز في الارض وباض
فامر الاهالي ان يستخرجوا بيضه ويحرقوه وفرض على كل رجل نصف مد من بيضه يجمعوا
منه أكثر من خمسين غرارة . وفقس الباقي قبل استيفاء جمعه وسعى في اراضي الساحل وكان
كثيراً فامر ان يبادر اليه الناس ويحرقوه له خنادق في طريقه يتردد اليها ثم يطمر فيها
فاهلكوا منه كثيراً والباقي بلغ اراضي صلبة لا يمكن حفر الخنادق فيها فامر ان يجمعوا في
طريقه اغصاناً يابسة وهشياً ويكسوها باغصان مورقة ويتردوه اليها ثم يحرقوها ففعلوا وبادوه
كله ونجت البلاد منه . وهذه الاساليب الثلاثة التي استنبطها الامير بشير حينئذ خير
الاساليب المتبعة الى الآن لآبادة الجراد

وصفا الزمان له فاخذ يزيل المغارم من البلاد وكان اول مغرم ازاله الخفارة التي كانت
تؤخذ من قوافل التجار في اماكن مختلفة من البلاد وامر ان تسير القوافل في جميع الطرق
بالامان من غير ان تغرم بشيء فكانت ذلك رحمة عظيمة للناس ومسهلاً لسبل التجارة .
وجعل الولاية يخاطبونه بعبارات التجميل والاكرام ويطلعونه على اخبار الولايات كما حدث لما
تغلب طوسون باشا بن محمد علي باشا والي مصر على الوهاية في الحجاز وتملك المدينة المنورة
وجدة سنة ١٢٢٨ فان سليمان باشا العظم والي دمشق كتب الى الامير بشير يخبره بهذا
النصر وهذه صورة الكتاب نقلاً عن تاريخ الامير حيدر

افتخار الامراء الكرام ذوي القدر والاحترام جناب ولدنا الاعز الامجد الامير بشير الشهابي
زيد مجده . بعد التحية والسلام . بيزيد الاعزاز والاكرام . نبدي اليك انه يوم تاريخي قد
ورد لنا كتاب من سعادة الاخ الاثم والي مصر القاهرة المحترم يخبرنا ان سعادة ولده طوسون
باشا بعد استيلائه على المدينة المنورة . توجه بمساكرو المظفرة الى مكة المطهرة . وقطع دابر
الطائفة الوهاية الكافرة ودارت عليهم الدائرة . بقدرة ملك الدنيا والاخرة . وتطهرت منهم
تلك المرجاب الشريفة . والديار المنيفة . واستولى على مكة العظيمة وجدة وتلك البقاع المكرمة .
ولم يبق احد في تلك الديار من اولئك الكفار . وبما ان هدم البشارة تجلب السرور التام الى
جميع الاسلام . ارسلنا اليكم مرسومنا هذا لكي تشهروه على الخاص والعام . وتستجلبوا

الدعوات الخيرية لحضرة مولانا السلطان الذي هو ظل الملك العلام وخليفة سيد الانام . ولما
 وجميع المسلمين من الرعايا وولاة الاحكام ولكن ذلك معلوماً عندكم نعمدونه والسلام
 وصار اذا قصد عكا لني فيها وفي طريقه اليها كل ضاوة واکرام . فبعد ما سنة ١٢٣٠ هـ
 وصل الى جسر صيداء النقاہ قاضيها ومفتيها واکبرها وادخلوه الى صيداء باحتفال عظيم فبات
 تلك الليلة عندهم وخرجوا معه في الصباح وشيعوه الى عين القنطرة ثم ودعوه ورجعوا ولما
 وصل الى جسر القاسمية النقاہ ابرهيم اغا تسلّم قلعة حونين وبلاد الطاولة ومعهُ مشايخ تلك
 البلاد وقدموا له الدخاير وضربوا له الخيام ومشوا قدامه اليها ثم شيعوه الى اطراف بلادهم
 ولما اقبل على مدينة صور النقاہ تسلّمها واکبرها ودخلوا به باحتفال عظيم وخرجوا معه في الصباح
 الى خارج المدينة ولما قارب عكا النقاہ متلمها عبد الله بك بجميع رجال الحكومة وضباط
 الجيش ومعهم الموسيقي العسكرية وساروا امامه الى عكا ولاقاہ سليمان باشا الوالي الى باب
 ديوانه واعتنقه واجلسه بجانبه وبالغ في اکرامه واعد له منزلاً لتزوله وزاره في اليوم الثالث
 في هذا المنزل . واقام في عكا خمسة ايام على الرحب والعدة واهدى اليه عبد الله باشا هدايا
 نفيسة من الجياد والاسلحة فهاداه الامير بانفس منها ولم يحصل لامير قبله ما حصل له من
 الاكرام . وذاعت شهرته في الديار الشريفة واقبل الشعراء على بايه ومنهم بطرس كرامة الشاعر
 الحمصي المشهور جاءه من عكار ومدحه بالقصائد الغراء وتداول اهالي لبنان اشعاره يتلونها
 في المدارس والاندية وكان من باكرة قوله فيه

بسم السرور فرست الاحياء	وسمت بسامي سمودك العلياه
وروت عن الشرف الرفيع محاسن	طلابت بنشر حديثها الارجاه
اشمخي الفخار بجيد فضلك باحياً	واعترفت بك باهي علاك علاه
والي شهامتك السنية اذعنت	رتب العلي واللمعة التقصاه
يا حبيذا لبثت قد صدحت به	طرباً بوافر حلك الورقاه
شهد الوري لما ظهرت بانه	طود الاماني ملجأ وحماه

فجعله الامير ندياً له ومعلمًا لولده الامير امين وكتاباً للخارجين عن بلادهم وكأنه احله
 محل وزير الخارجية فاعرب بذلك عن حسن ذوقه وقدره رجال الفضل قدرهم . وعاش
 بطرس كرامة في نعمة واسعة من كرم الامير ولم تزل داره في ديار القمر شاهدة بنظرة
 تشهد قصائده الغراء التي نظمها في مدحه

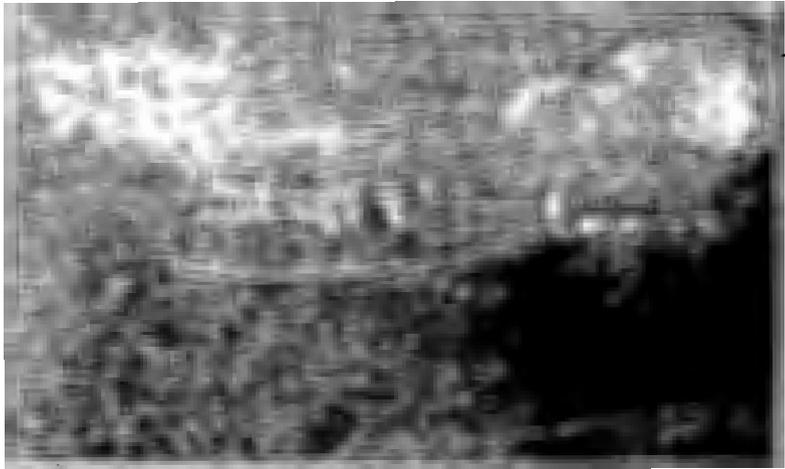
وما يشهد له ايضاً بحسن الذوق وصفاء الذهن ومحبة الابهة والجاه وما شاكل من لوازم

الامارة بناؤه الدار البديعة في بدين (بيت الدين) التي لم تنزل حتى الساعة داراً للحكومة لبنان .
 قال الكولونل تشرنبل في هذا الصدد ما تعريبه وبلغ الامير من الكهولة السن الذي تزري فيه قوة
 الشباب بضعف الشيخوخة وتبلغ القوى العقلية والادبية والجسدية اوجها من النمو والارتقاء في
 سن كان مخلوقاً صحيح الجسم قوي البنية . ورأى ان الزمان قد صافاه واناله كل ما تطيب به
 الحياة وتعد الايام وان دخل امارته زاد زيادة تسهل له العمل بما فطر عليه من اكرام
 النورف مهما كان عددهم وعديدهم المخلوق الذي يمتاز به المشاركة ويشترك فيه ملوكهم وصعاليكهم
 وينتشر منه البهائم في القصور والاكوخ ويرفعها كلها من وحدة الانحطاط الادبي الذي انحطت
 اليه بما استولى عليها من العادات الفاسدة والشرائع الظالمة التي تسحق اشرف عواطف النفس
 وتخذ انقاس المطالب النبيلة من صدور ابنائهم . وانه حاز من الشهرة ما اخرس السنة الوشاة
 واطناً نار الحسد من افئدة الاحزاب المعادين والتي الرعب في قلوب الدائنين منهم والقاصين
 وصارت كلمته نعيم الناس وتتعدهم في كل البلاد المجاورة من دور الولاة الى مضارب العرب .
 وان حوالي الاكبر الذي يديم تدبير الامور في بلاد الشام كلها صار صديقاً له بل حليفاً يجري
 على حسب مشيئته — لما رأى ذلك كله وقف بين انداده ومناظره كأنه طود من الاطواد
 لا تاله نواب المهرب بكمروه

ولا غرابة والحالة هذه ان تطمح نفسه الى انشاء قصر نفيم مثل قصور الملوك يكون عنواناً
 لمجده ومظهره لما فطر عليه من الكرم وحب الابهة فاخترقته بيت الدين المشرفة على دير القمر
 مقراً لهذا القصر . واستطرد الكولونل تشرنبل الى وصف هذه القبة والقصر الذي بناه الامير
 بشير . والظاهر من تاريخ الامير حيدر وتاريخ الاعيان ان الامير اتما جبراً ماء نبع القاع المجاور
 لنهر الصفا الى بدين حينئذ لانه كان في داره نحو ثلاثة الآف من الاعوان والخدم عدا الخليل
 والبغال ولم يكن الماء كافياً لهم . وقرظ بطرس كرامة ذلك بوشح من ابلغ ما نظم من نوصه قال فيه
 صالح قد وافى الصفا يروي الظما بشارب ككوثري المس
 وافاض الشهد في روض الحما لجلا النعم وبره الاتسار

دور

حبذا الفوار منه حين راق
 بزّه القلب عن الهم وراق
 نثر الدرّ بفيض واندفاق
 قد جرح عذباً فاغنى الندما
 فارانا ماؤه ذوب اللجين
 بنا صافي صفاه كل عين
 وسقى الوارد اهني الاطيين
 بزلال عن رحيق الاكوس



سرای بتدین (بیت الدین) كما كانت منذ ستين سنة



وعلى الاغصان التي النما فزمت مثل نداسي العرس

دور

جاء باسم الله مجراه الى بيت دين المجد متقاداً مطيع
كالنجم الصبح يبدو من على ذلك السفح الى الروض البديع
وتباهى جارياً يعاو على كل طودٍ شاخخ الانف منبع
مُلت منهُ السراقي وطما دافقاً كالعارض المتبس
فندا بانصب يزهو منعا كل ربع مقفر مندرس

دور

دار في دار التي مثل العريس يتهادى سيف رداه جوهرى
حوله السرو كمشاق تيمس في رداه من حريه اخضر
تبتغي لثم عجاة النفيس والحيا يتعبها بالنظر
خلتين قائمت خدماً حوله منعطفات الاروس
وعليه ساهرات هياماً تلثري اعناقها بالنعس

والمرشح طويل فيو خمسة وعشرون دوراً من قيس الشعر ومطريه

ولم يكد يتم جلب الماء الى بتدين حتى اشتدت رغبته في البناء والزخرفة فظل
ربعين سنة ينشئ البناء بعد البناء واتى بالبنائين والمخمين والنقاشين من دمشق وحلب
يمهد بدياناً امام السراي يلعب فيو مئة فارس وبني اصطبلات يع خمس مئة جواد واقام
المقاصير الخبية ينثر بعضها بعضاً ورفف بعضها بالمرمر والفسيفساء وكان يشارف هذه الاعمال
بنفسه ويخاطب رؤساء العمل لا كما يخاطب الرئيس المرؤوس بل كما يخاطب العامي الصانع
الماهر . وكثيراً ما كان ينتقد شيئاً من عملهم ويشير بتغييره فلا يلتفتون الى مشورته بل يبتنون
له وجه الخطأ فيها فيسر بذلك ولا يستاه منه . ودام على هذا المنوال الى ان صارت سراي
بتدين اعظم مباني جبل لبنان ولاسيما بعد ان انشأ فيها حماماً افرخ فيو صنّاع دمشق مهارتهم
في الرسم والنقش كانت المرمر خشب في يدم . بنى قصور اولاده وغرس حولها الحدائق
والجنات لكن لم يقدر لهذا الصفاء ان يدوم طويلاً كما سيجي

ولم يقصر همته على بناء القصور له ولاولاده بل بنى الجسور (كاري) على الانهر لكي
يتيسر للسابلة المرور عليها في كل حين كجسر شهر الكلب وجسر شهر الصف وجسر شهر الدامور
واظهر في بنائها علومه وصديق عزمته ولم يزل بعضها قائماً الى الان مع ما مرّ عليه من السنين

خزان اصوان وبحيرة مورس

من خطبة للسر ولم ولكن تلاها في الجمعية البحرانية المصرية في السادس عشر من شهر يناير النيل خير ما تلجأ اليه الديار المصرية اذا طلبت التوسع في الثروة فانه لم يجيب لها رجاه من غابر الازمان الى الآن من حين قام فراعنة مصر وحاولوا التحكم في الفيضان في عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية حتى لا يفرق الماء البلاد الى هذا العصر الذي حاولنا فيه تخزين هذا الماء الى حين الحاجة اليه . اما في العهد القديم فكان المشكل الاكبر في انقضاء مياه الفيضان . واما في هذا العهد فالمشكل الاكبر في تخزين الماء الكافي لا في انقضاء فيضانه والامر ان لازمان على حدٍ سوى اي انقضاء الفرق وانقضاء الشرق ومرادي ان ابين لكم كيف يمكن ان نعال الامرين في وقت واحد على اهون ميل

ان كل الذين حكموا مصر واهتموا بدفع غائلة الفرق وشرق عنها حققوا الخير والسعادة لاهاليها وابتقوا لهم في التاريخ احسن ذكر . وقد هذا محمد علي حذوم لما اهتم بيري هذا التطور وسار في خطوات اعظم الملوك السابقين واس عظمة البلاد على اساس متين فسارت في سبل العمران الذي اختطه لها والآن نحن مهتمون بتعميم الري الصيفي الذي ادخله اليها وفي حفظها من غوائل الفرق الذي يتهدها في بعض السنين

رايت في الاعوام الاولى التي كنت فيها في خدمة الحكومة المصرية ما راعني من تجمع المياه في الاطيان التي تروي رياً صيفياً وبقائها فيها حتى تناف ووددت لو اسكن العود الى ري الحياض الذي جرى عليه المصريون الاقدمون ولكن لما انشئت المصارف وكثرت في البلاد زال الضر الذي كنت اراه واخشى تفاقمه . ثم رأيت الناس يهتمون بتعاقب المزروعات وتسميدها والحكومة تهتم بانشاء المصارف واعطاء الماء بالتناوبات وذلك كله جار جرياً حثيثاً حتى صارت الارض تأتي بمحصولين او ثلاثة في السنة من غير ان يتولاها الكلال . وفي المستقبل سنشاء المصارف قبل الترع فلا يبق خوف من الري الصيفي مهما اتسع نطاقه

والاطيان التي يمكن ربيها في القطر المصري تبلغ مساحتها ستة ملايين فدان وربع مليون . والربع المليون يروي في زمن الفيضان فقط وهو حد الصحراء وسيبقى رية كذلك ابد الدهر ليقى حاجزاً حصيناً بين رمال الصحراء وادي النيل^(١) وثمان هذه الاطيان خمسة ملايين من

(١) [المتنظف] لا تدري كيف يقع رمال الصحراء عن ان تنسي على وادي النيل وهو محروم من الري الصيفي ولا يمنحها اذا روي رياً صيفياً . وعسى رجال الري ان يروا سبيلاً يجلب الماء الصيفي الى هذه الاطيان لانه ليس من العدل ان تدفع من الاموال المصرية ما يدفعه غيرها وتحرم ما تنتج به سائر اطيان القطر

الجنبيات . واربعة ملايين فدان تروى رياً صيفياً ومتوسط ثمن الفدان منها الآن ٥٥ جنبياً
فتمتھا كلها ٢٢٠ مليوناً من الجنبيات . والباقي وهو مليوناً فدان ثلثاهُ يرويان في زمن الفيضان
نقط وثلث الباقي لا يروى مطلقاً ومتوسط ثمن الفدان من هذين المليونين ٢٥ جنبياً فتمتھا كلها
٥٠ مليوناً من الجنبيات وثمان كل الاطيان المصرية الآن ٢٧٥ مليوناً من الجنبيات . واذا
امكن ارواء الالتي فدان الاخيرة رياً صيفياً زاد ثمن الفدان منها ثلاثين جنبياً . وبلغت
الزيادة ٦٠ مليوناً من الجنبيات

وعلى الان ان نرى كيف يمكن ان يتوفر الماء لري هذه المليون فدان رياً صيفياً حتى
يزيد ثمنها ستين مليوناً من الجنبيات

ظهر بالحساب ان كل الف مليون متر مكعب من الماء في هذا القطر تكفي لري نصف
مليون فدان رياً صيفياً فاذا اريد ري المليون فدان ونحو ان يخزن لها اربعة آلاف مليون
متر مكعب

كان محمد علي مهتماً اهتماماً شديداً بزرع القطن في القطر المصري . والقطن ينمو في فصل
الصيف ويحتاج الى الري الصيفي ولذلك انصرف همه الى ابقاء ماء الري كافيًا على مدار السنة
وبلغة ان التقدماء كانوا يخزنون ماء الفيضان في بحيرة مودس فامر لبنان باشا رئيس مهندسيه
ان يحدو حذوهم فجعل ينش عن موقع هذه البحيرة ثم حسب ما يتتضي اقبال ماء الفيضان
ايس من المال فوجد انه ليس مما تخضله الخزينة المصرية حينئذ . وانشاء القناطر في النيل
عند جبل السلسلة وجر الماء من فوقها بترعة عالية ولكن ظهر العيب في بناء القناطر الخيرية فضعف
عزم الحكومة المصرية واتجهت عن بناء قناطر اخرى مثلاً

واشار الكونت دلاموت سنة ١٨٨٠ ببناء سد عند جبل السلسلة يخزن الماء فوقه وان
يدخل ماء النيل الى منخفض واسع شرقي كلبشة فيكون خزاناً آخر للماء . وبعد نحو سنتين
اشار المستر كوب هويتوس باستعمال وادي الريان خزاناً للماء النيل وكان لبنان باشا قد اشار
الى هذا الوادي او المنخفض لكن الضيق المالي الذي كانت فيه الحكومة المصرية وما ظهر من
الظلل في القناطر الخيرية منعاهما من الاهتمام بمسألة تخزين الماء حينئذ لاسيما وانها لم تكن
قادرة على التحم بالماء الذي تحت يدها ولكن لما نجحت في تربية القناطر الخيرية سنة ١٨٨٧
عادت الى النظر في امر تخزين الماء وارسل السر كولن سيكوت منكريف الكونول وسترن الى
وادي الريان ليبحث في مشروع المستر كوب هويتوس ويعلم مقدار ما يسعه وادي الريان ربي في
هل يمكن استخدامه لخزن المياه . ونشرت الحكومة المصرية سنة ١٨٨٨ تقرير الكونول وسترن

عن وادي الريان ومناسيبه ونفقات عمله خزاناً ومقدار ما يخزن فيه من الماء . وأرسلت انا للبحث عن مشروعي الكونت ده لاموت فلم ازل مناسيبهما لانني لم اجد منضغاً قرب كبشة يمكن وصله بالنيل ولا وجدت صخرًا يمكن ان يبنى السد عليه . وانخفض الوحيد قرب كبشة يسمى بركة طغام وهو يعلو مئة متر عن سطح النيل وقت الفيضان . وسبرت الارض في مضيق السلسلة فوجدتها رملًا حتى تحت الحد الذي ظن ده لاموت وجود الصخر فيه بعشرة امتار . فلما بلغ تقريري القاهرة اشار المسيو برونن يجعل مجرى النيل نفسه خزاناً عند كبشة . وغادر الكولونل وسترن القطر المصري سنة ١٨٩٠ وجعلت مديرًا عامًا للبحث عن الخزانات . وظن المسيو برونن ان الصخر موجود في كبشة على اربعة امتار تحت سطح ماء التخاريق فسبرت الارض الى عمق ٣٦ مترًا ولم اجد صخرًا . وسبرت الارض في كل مكان يمكن عمل الخزان فيه بين الفيوم ووادي حلفا واستعملت مناسيبها وقدمت تقريري سنة ١٨٩٤ اورفضت كل مشروع يراد به بناء سد اصم واشرت ببناء سد ذي عيون في اصوان حاسبًا انه يفي بالغرض المطلوب . ووافق السروليم جارستن والسر بنيامين باكر والسيور طوريشلي على المكان الذي اخترته وعلى الرسم الذي رسمته له . وسد اصوان هذا جديد في بابه واذا نجح فيغير كيفية بناء السدود على الانهر الكبيرة في البلدان الحارة

ويسع خزان اصوان الآن الف مليون متر مكعب من الماء وهي تكفي لري نصف مليون فدان ريًا صيفيًا فتزيد ١٥ مليون جنيه في ثروة القطر . وقد تم هذا الخزان في آخر سنة ١٩٠٢ ومع ذلك استقدم مائة كلة لاماكن مخصوصة حتى اضطرت الحكومة ان ترد كل الذين طلبوا منها ماء للري وهذا امر لم تنتظره البلاد بعد ان انتظرت بناء الخزان ست سنوات . والعالم في اشد الحاجة الى القطن الطويل الثمر المختص بالقطر المصري ومع ذلك يضطر اصحاب مليون ونصف من الفدادين الصالحة لزراع هذا القطن ان ينتظروا الماء ستين كثيرة على ما يظهر مع ان كل بلاد تحت الشمس يمكن زرع القطن فيها باذلة جهدها في زرع القطن المصري . والثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء قريبة الشمال والبلاد قادرة على خزنها كما يظهر من الارقام التالية المثقولة عن تقرير اللورد كرومر

ان المال الاحياطي العمومي في خزينة الحكومة المصرية يبلغ ٢٩٣١٠٠٠ جنيه والمال الاحياطي الخاص العمومي ١٦٧٨٠٠٠ جنيه والاموال المتوفرة بتحويل الدين ٤٩٩١٠٠٠ جنيه وفي صندوق الدين العمومي ٨٧٧٤٠٠٠ جنيه ولهذا المبلغ الاخير ربع يبلغ $\frac{3}{2}$ في المئة في السنة فاذا اتفق نصفه في خزن الماء ووقاية البلاد من الفرق زادت ثروتها ٤٥ مليون





نقش شبکته خطوط متوازیه

جنه ويكون ريع الزيادة بمعدل سبعة في المئة في السنة
والرجال الذين بنوا خزان اصوان لا يمكن ان يبقوا مترددين في الاصر والبلاد كلها
مخاجة الى الماء والماء الغزير ينصب من النيل في بحر الروم كدروب النشار
قلت انه لا صعوبة في وجود المال الكافي نظرا لثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء
ومرادي الآن ان ابن ان خزن هذا المقدار من الماء ليس مما يتعذر عمله
نذست سنوات رأى قليون بعين البصيرة ما يرمى الآن بالباصرة وليس بين هؤلاء
القتائل من هو اقوى ثقة بمستقبل القطر المصري من النبر ارنست كاسل فاتي بالاسوال سنة
١٨٩٨ واخذ مشروع الخزان بعد ان مضى عليه اربع سنوات مدفوناً في زرايا النيان
واستعان بالسرجون ايرد وشركائه المتقاولين والسربنيامين باكر المهندس المستشار وانشأ خزان
اصوان وقناطر سيوط وسلمها للحكومة المصرية في سنه ١٩٠٢
وسد الخزان في اصوان من الغرايت طوله العا متر وهو يتقطع النيل عند الشلالات من
ضفة الى اخرى في خط مستقيم وفي اعلاه طريق عرضه اربعة امتار وارتفاع السد ٣٧ متراً
حيث يبلغ ارتفاعه اعظمه واكثر عمق يبلغ اليه اساسه ١٢ متراً تحت الصفر بمقياس اصوان
والطريق المثار اليه آنفاً ٢٥ متراً فوق ذلك الصفر. وفي السد ١٤٠ عيناً طول كل عين منها ٢
امتار وعرضها متران لمزود مياه الفيضان ٤٠ عيناً اخرى طول العين منها ثلاثة امتار ونصف
وعرضها متران لكي يمر منها ماء الخزان حينما يكون عالياً. والى الجهة الغربية من السد ترعة للتلاحة
لها اربعة ادرسة طول المويس منها ٨٠ متراً وعرضه ٩ امتار. ويمكن رفع الماء بهذا السد في
حاليه الحاضرة حتى يصير ارتفاعه ٢٢ متراً فوق الصفر بمقياس اصوان فيكون من ذلك حوض
فيه الف مليون متر مكعب. واذا كان الفيضان على اعلاه فالماء الجاري في النيل يبلغ ١٢٥٠٠
متر مكعب في الثانية من الزمان واذا كانت ايام التخاريق في الصيف والماء على اقله بلغ الجاري
منه في الثانية من الزمان ٢٠٠ متر مكعب فقط

وفي وقت الفيضان تفتح العيون كلها مجري منها الماء كله من غير ان يرسب التراب منه
واذا انقضى زمن الفيضان وراق الماء نوعاً ثقفل العيون تدريجياً فبملا الخزان. واذا شرع في
ذلك في شهر ديسمبر امتلاً الخزان في مئة يوم. والغالب ان يتم البناء في اول شهر مارس
والماء الجاري في النيل بين اول مارس واول ابريل يكفي الان للزراعة التي تكون حينئذ
واذا زاد زمام الاطيان التي تزرع زراعة صيفية مست الحاجة الى زيادة الماء منذ اول ابريل
وتزيد الحاجة في مايو ويونيو وحينئذ يساعد الخزان النيل. واذا تأخر الفيضان بقيت الحاجة

ماسة الى ماء الخزان حتى العاشر من شهر يوليو واذا بكر الفيضان استغني عن الخزان في العشرين من يونيو كما حدث سنة ١٩٠٢ وهي اول سنة مرت على الخزان . فزيد فائدة الخزان بأخر الفيضان . وحينما يجمر ماء النيل تكون العيون السطلي والعليا قد فتحت كلها فيجري منها المياه الجراء من غير هائق . وقد قدرت فائدة المياه الجراء للاطيان بما يباري تعيين غرشا من السباد لكل فدان يروي بها في زمن الفيضان

وقد مضى الآن سنة على خزان اصوان فظهر انه وافي بما ينتظر منه فانه لما كانت التجاريق على اشدها في شهر مايو الماضي بلغ كل الماء الجاري في النيل مع كل الينابيع التابعة فيه من اصوان الى بحر الروم ٤٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان فده الخزان بمشي متر مكعب كل ثانية فصار مقدار الماء الميور للري ٦٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان اي ان الخزان قدّم ثلث الماء اللازم للري الصيني فهو يكفي لري نصف مليون فدان رياً صيفياً ولما رسمت بناء سد الخزان جعلته قابلاً لان يُعلّى ستة امتار أخرى فيخزن فيه مشاعف ما يخزن فيه الآن فاذا رفع بناؤه ستة امتار اخرى وطولت عيونه ومدودها فتكون التفقات اللازمة لذلك كله نصف مليون جنيه

ويسهل نسمة كل هويس من الهويسين الاولين الى اثنين لان طول الهويس منهما ٨٠ متراً فيصير طول كل قسم من قسميه ٤٠ متراً وهو يكفي للملاحة لان اكبر النهييات في القطر طوله ٣٠ متراً وبذلك يقل ضغط الماء لانه يتوزع على ستة ابواب بدل من كونه الآن على اربعة ونصف مليون الجنيه المطلوب لتعليق السد ستة امتار اخرى يكفي ايضاً لتقوية السد كله فيصير اتمن بما هو الآن والآن مليون متر التي تزيد في الخزان تزيد بها الزراعة الصينية نصف مليون فدان فيزيد ثمن الاطيان التي تروى كذلك خمسة عشر مليون جنيه

وقد سمعت البعض يعترضون على تعليق سد الخزان بان ضغط الماء على اسفل البناء يزيد حيث انه على ٥ كيلوغرامات لكل سنتيمتر مربع وهو اعظم ضغط اقررت عليه اللجنة الدولية وقد اشار بذلك السنير طور يثلي لان السد جديد في نوعه فلا يصح تحميله ضغطاً شديداً قبلما يتحن وثبت نتائجه . لكن هذا الضغط في سد جبل بيلاد البلجيك ١٠ كيلوغرامات على السنتيمتر المربع وفي سد خميس بيلاد الجزائر ١٢ كيلوغراماً . ومن رأي الاستاذ رنكن انه لا خوف من ضغط ٢/٣ كيلوغرام ال ١٠ على سد ارتفاعه ٤٨ متراً . ولما عين السربيامين باكر هندساً مستشاراً للخزان سأله عن رأيه في ذلك . فقال "يجب ان يكون السد مستريحاً في كل اجزائه وانا لا اعبأ بما على قاعدته من الضغط وانما تعبئ يكون من التمدد والتقلص" (ستاتي البقية)

بَابُ الْمُنَاطَرَةِ فِي الْمُنَاطَرَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترحيباً في المعارف وإعانةً للهمم ونصيحةً للإذهان . ولكن الهدية في ما يدرج فيو على اصحابه فمن يراد منه كلو . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنتطاب ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطوا عظم (٣) خبير الكلام ما قل ودل . فالملامات الواجبة مع الايجار تستخار علم المطولة

اللغة العربية في المدرسة الكلية

سيدي الاخ احد ابناء العصر الذهبي

اشكر لكم كل الشكر على انتقادكم اللطيف على خطابي " تاريخ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية " المدرج في المنتطاب الاغر تحت عنوان " المدرسة الكلية واللغة العربية "

على انه لا بد لي بعد تقديم تشكراي من ان استلثت ابناء حضرتكم الى ان موضوع خطابي لم يكن " لماذا او ما هو السبب الحقيقي الذي من اجله استبدلت عمدة المدرسة ودائرة مديريها لغة التعليم بفعاليتها الانكليزية بدلاً من العربية " ولا خطر في بالي ان ابحث في هذا الشأن لان موقفي كان لا يجوز لي ذلك لياتة كما لا يخفى على حضرتكم

نعم اني في اثناء بحثي التاريخي انصفت الى ان اسأل " هل اصابت العمدة في هذا الاستبدال ام لا " وفي جوابي اتمت الدليل - لكن بقطع النظر عن الداعي الذي دعا العمدة الى هذا الاستبدال - على انها اصابت والذي اعتقده وارجحه ان دليبي في كل ما ذكرته كان يمشي على رجلين قويتين كما يتضح ذلك بعد المراجعة والروية

ثم اني على ما يقتضيه موضوعي قسمت تاريخ اللغة العربية في المدرسة الكلية الى ثلاث مدآت احداها مدة انحطاط العربية ما بين سنة ١٨٨٠ و ١٨٩٥ ونصديت لبيان اسباب ذلك الانحطاط وانصراف نفوس الطلبة عن هذه اللغة الشريفة فذكرت ان من جملة تلك الاسباب نفس استبدال العربية بالانكليزية . ومنها الحوادث العراية . ومنها المهاجرة . ومنها ومنها الى آخر ما ذكرته . فارجون تراجعوا النظر مرة ثانية

ويعلم العارنون انه كان في المدرسة ما بين سنة ثمانين واربع وثمانين اساتذة درسوا اللغة العربية لم يوجد قبلاً مثلهم ولا اقدر على التدريس ولا امر منهم فيه وكان لهم فرق ذلك في نفوس التلامذة من المكانة ما لم يانها احد كان قبلهم ولا بلغها من جاء بعدهم ومع كل ذلك كانت نفوس التلامذة بشهادتهم هم منصرفه عن اللغة العربية وليس لهذا من سبب ظاهر الا الاسباب التي ذكرتها فلما زالت هذه زال اثرها فانعشت اللغة وعاد اليها شيء من رونقها القديم بانبال الطلبة عليها وتجدد رغبتهم فيها

وهنا لا يعني اغفال ما كنت اغنك اما سهواً او اضطراراً الضيق الوقت وهو ان من اكبر الاسباب التي اعانت على انتعاش اللغة العربية في مدرستنا وعود الرغبة فيها ان تلامذتها المتأخرين لم يروا لاحد من اخوانهم السابقين شهرة تستحق ان تذكر الا ان يكون من الميادين في معرفة العربية ومن البارعين في الكتابة فيها تلك الكتابة البديعة المعروفة باسم السهل المتع الطاهرة في مقالات المتكف ومقالات الادباء في الدين حذوا حذر صاحبه في ترك التعمل وبجارية الطبع والذوق السليم

ايها الاخوة ابنا العسر الذهبي ومن اتقنى خطواتهم من ابنا هذه الكلية واخص استاذي الكريمين الدكتور صروف والدكتور عمر في ايها الاخوة كلمة اطراء اوجهها اليكم صراحة وهي هذه انكم كنتم ولا تزالون من جملة الاسباب التي سببت انتعاش اللغة العربية في مدرستكم الكلية ومن اهم تلك الاسباب ايضاً لانكم كنتم اعظم باعث لآخر انكم المتأخرين على معاودة الرغبة فيها والاقبال عليها بما راوه من نجاحكم الباهر واستطارة شهرتكم في العربية بما خدمتم وتقدمون به ابناها فجزاكم الله جزى امثالكم من كتابنا الكرام احسن الجزاء انه السميع الجيب امين

جبر صومط

رباعيات ابي العلاء

حضرة منشي "شيخ" المجلات العربية

اطلب اليك ان تدرجا اذا امكن هذه الاسطر في احد اعداد مجلتكما الغراء تعميماً

للقائدة لا غير

جاء في كلامكم على ترجمة رباعيات ابي العلاء المعري للشاعر الاديب والعربي النير امين اندي ريجاني ما حرفة : ٠٠٠ ولم يكن عمر الخيام الا تابعا لابي العلاء المعري مقتبسا منه او ناسجيا على منواله ومع ذلك لم يقدم احد على ترجمة اشعار المعري الى اللغات الاوربية

شاور العقل واترك غيره هدرًا فالعقل خير مشير صمعة النادي

Die Traditionen, die man uns lehrt, wären wichtig, wenn echt
Nur die Bürgschaft dafür ist ziemlich schlecht
Zieh den Verstand zu Rath, allem andern entsage
Der Verstand ist der beste Rathgeber in jeder Lage.

(٣) سبع وصل وطف بركة زائرًا سبعين لا سبًا فلت بناك
جبل الديانة من اذا عرضت له اطاعه لم يلف بالجمالك

Bete und verrichte in Mekka die Pilgerpflichten
Siebzig—, nicht siebenund, trotzdem bist du ein Frommer mit
nichten!

Es sündigt gewiss der, wenn die Begierden ihn treiben,
Es nicht versteht dennoch enthalten zu bleiben.

بندلي صليبا جوزي

روسيا

[المقتطف] نشكر فضلكم على هذه الفائدة فاننا لم تكن نعلم ان العلامة فون كرومر ترجم
هذا المقدار من اشعار المعري الى اللغة الالمانية ولا انتبهنا الى ما ذكره الاستاذ مرغوليوت
في هذا الشأن . وقد رأينا قبلاً ترجمة بعض المقاطيع ولكنها قليلة متفرقة ولا تذكر الان
اين مظانها الا ترجمة البيتين المشهورين

هنت الحنيفة والنصاري ما اهدت ويهود حارت والمجوس مضللة

اشان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فقد ترجمهما الى اللغة اللاتينية العالم كارليل J. D. Carville الذي كان استاذًا للعربية
في مدرسة كبرج الجامعة في اواخر القرن الثامن عشر وترجم الى الانكليزية البيتين التاليين
والكبير والحمد ضدان اتفاهما مثل اتفاق فناء السن والكبير
يجني تزايد هذا من تناقص ذا والليل ان طال غال اليوم بالنظر

نور القمر والكوليره

مضى على بلدتنا طرابلس الشام نحو خمسة اشهر والهواء الاصفر قد حل فيها ضيقاً غير
محشم وقد راقبه فرأيتُهُ يشد في الحاق ويخف عند ما يكون القمر بدرًا او يكاد يتلاشى
وهذه المراقبة امتدت تلك الشهور الخمسة قبل ثور القمر تاثير في ميكروب الكوليره كتور
الشمس ارجو وضع هذه المسألة في باب البحث والتقيب فلعن منها فائدة علمية تعود بالنفع
على الهيئة الاجتماعية طرابلس الشام حكمت شريف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما هم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والسكن والزينة ونحو ذلك ما يعود بالنفع على كل عائلة

رجاء مصر في شاباتنا

خليفة القضاة السيدة زاهية جندى من مخرجات مدرسة البنات العالية الانجليزية باسيوط سنة ٢٤ ديسمبر ١٩٠٣
وقفتُ بينكم وفي نفس تيمنا بانوار اهل الذكاء . وفؤاد يطرب بانتظام عقد الادياء . فان
صمت اللسان فالنفس ناطقة وان كذبت الظواهر فالجوهر صادقة
وبعد فيينا كنت اقلب الفكر فيما كان عليه الشرق من الرفعة في غير الازمان وما وصل
اليه الغرب من العمران في هذا الان واذا بهاتفه يقول حيّاك الله ايها الغرب فقد اصبح اهلوك
سندا للعلم والعرفان . وعضداً للحضارة والعمران ونبراساً يضي كالشمس على سائر الاكوان .
وسقائك غيث الرحمة يا مصر عروس الشرق . فقد سحرت عقول الاقدمين فتاهوا في معاني
فتونك وادابك . وخطبت الباب رجال هذا الزمان فسعوا يؤمنون معاني جلالك وعليتك .
فوان زالت ظواهر جلالك العظيم فلدينا من مآثر اهلك الاقدمين ومفاخر ابنائك السالنين .
ما سيحيل ابناءك العصريين يريقون دماء الحج سعيًا وراء ذلك المجد الباهر الذي اشرق في
ايامك الخوالي . وغيره على ذلك الشرف الاثيل الذي عبثت به ايدي الايام والليالي . وخوفًا
من ان تفقد مفاخر ابواب رجائك فتقبل قابضة على بقايا تلك السلالة الشريفة وذلك المنصر
السامي . فتهدت وقلت رويدك ايها الهاتف هلاً افدنتي ابن ذلك الرجاء . وفي اي مكان
من مصر نتطلبه . فاجابني لديكم شاباتكم فبين رجاء بلادكم . اجل فالامر جليل والعليل يحميه
ولو بارق من الامل وان ما ترجوه مصر ليس من الامور الثانوية ولا من الاماني المستحذات
المستحيلات بل هو مطلب لكل امّة دبت فيها روح الحياة فتعلقت به تعلق غريق وجد غصنا
فتمسك به طلباً للنجاة . وهذه امم الغرب بما فيها من عزّ يناطح السماء . وقد دم باهر ينازع في ظهوره
الافلاك لم تقم قائمتها بهذا المجد المقيم الا بشابات تهدين واستلن ادارة العائلات فرح العز في
ربوعين واشرف العبد على فجوهم . وبلغ بهم الشرى الى ما اذلك تسمع وعينك ترى
والامر واضح ان شابات مصر اليوم هن ربات بيوتها غدا اللواتي سيمن بتدبيرها وتربيتها .

ويتكفلن براحتها وسعادتها ويحيين كالاتها وفضائلها . والماء انزلت اساس الوطن وعليها قيام بنائو . وكيف لا وشابات مصر اليوم هن امهات رجالها غداً وليس بخلاف اب الولد يتناول من امه غذاء جسمه وقوة رحياء لنفسه فهي توجي اليه عواطفها واحساساتها وتلقنه مع اللبن عوائدها واخلاقها . ورب عاطفة تبشها الأم في صدر ولدها بين قبيلات الخنو والحلب فتصير هذا الولد اديبا كريما وعاطفة يشربها الطفل من امه فيصير بها شقيقا ثانيا . وعليه اكرر القول ان رجاء مصر في شاباتنا ولكن توى من اي شابات يرجي لمصر خير هل ترجو مصر خيرا من شابات امم لا تعلم ولا دهن تريتين فاطمت منهن المعقول وخشت الطياع وسادت الاخلاق . وسادت الاوهام فلما دخلن البيوت لم يحسن ادارتها بل خلل ترجو مصر خيرا من شابات لام لمهن في الدنيا غير صقل الشعور والتفهم بالطيوب وعبادة المرأة وجر الذبول والاذناب . كلا فمصر ترجو الخير من شابة حسنة تربيها وتطهرت اخلاقها وتهذب عقلها وعرفت ما لها من حق وما عليها من واجب . بل مصر ترجو الخير من امرأة احسنت ادارة بيتها وتربية اولادها وقد جعلت زيتنها تهذيها وعطرها آدابها ومرآتها اعمالها وجعلت اقتصادها فيا شابات مصر ما بالكن تعثرن ولا تنهضن وتبصرن ولا تعثرن وتسمعن ولا تصغبن وبين حركات الايام وسكنات الليالي عبر خليق يكن اعتبارها واصوات جدير يكن اجابة ندائها بل آمال نجيلي يكن تفحصها اوهاما عابرات او احلاما كاذبات . كلا كلا فتلك آمال مصر المستقبل لم تنزل كالحمامة المائنة ترفرف فوق رؤسكن ولا تستطيع الدنو خشية ان تطأ ارجلها شعوركن الصقيلة فتزلق وتسقط الى الحضيض بل خوفا ان تؤخذ براهمة طيب ملايكن فتدركها النسوة فتبيط وتجرى الى الهلاك . وباريفتاتي الفاضلات تأكدن ان رجاء مصرينا اكثر مما هو في رجالنا ونحن وان كنا دونهم في القوة البدنية فضعف قوتنا ولطافة جبلتنا لا يقفان في سبيل واجبتنا فالصواعق تصدرون عن رقيق السحاب والزلازل عن لطيف الجوار ومراكز الهيئة الاجتماعية لا تثقف على قوة العلم وكبر العظم بل على العقول الثاقبة والاراء السديدة والعواطف الرقيقة التي اشتهرت بها النساء فكم لدماثة اخلاقهن من مآثر تذكر تشكروكم من جماح ارتاض بلطفهن فصار ذلولاً . فلا بدع اذا دلت لمن الاسود في اجامها وارتاض لمن جماع عقول الرجال فهن القابضات على زمامها . فمصر التي ربيتنا في مهادنا وارتويتنا من مائتها ترجو منا هذا الخير فلنحقق لها هذا الرجاء ونحسن صنعا بما تأتبه من جميل الفعل فيبسم لنا نغمر الزمان عن ثنايا السعادة ووجه الحياة يتدفق بانوار المجد والاقبال حقق الله فينا وبناتك الآمال

تمريض المرضى

الفصل الرابع

العمليات الجراحية

تتلى قلب الكثيرين بالزعب عند ذكر العمليات الجراحية ولا عجب فانها خطر شديد يمر على الانسان او على احد اصدقائه واجباته . واذا كان يحتاجون الى عملية جراحية في اوربا فقراء معوزين فانهم يقبلون حالاً في احد المستشفيات واذا كانوا اغنياء فيمكنهم باشارة واحدة ان يستخدموا ممرضة ممتنة فتمد كل ما يلزم او قد يمكن للمريض ان يذهب الى ما يسمى "بيت العمليات الجراحية" . اما في هذه البلاد حيث المستشفيات الخصوصية والمرضات الخاصات مجهولة أو نادرة الوجود فعلى اهل المريض ان يتكلموا على انصهم وعلى مشورة الطبيب ولكن الاطباء ليسوا مرضين بل التمريض من وظائف النساء وهو فن يحتاج الى درس وتعليم ذهبت يوماً وكنت لم ازل تلميذة في فن التمريض لعيادة صديقة لي قبل ان تعمل لها عملية جراحية . وكان اهلها قد استدعوا ممرضة ممتنة فاعدت كل ما يلزم الى ان يأتي الطبيب ويبدأ كانت صديقتي في غرفة اخرى دخلت الى غرفتها حيث كان الطبيب عاجزاً ان يعمل العملية الجراحية فرايت كل شيء نظيفاً وناصح البياض حتى اثرت في تلك الغرفة وتلك الممرضة تأثيراً لا انساه ابداً . كان السرير ملامصاً للحائط حتى لا يعيق احد في سيره وعلية الملاءات البيضاء النظيفة وزجاجات الماء الحار حاضرة لتوضع في الفراش لتدفئة الرجلين عند الحاجة . وكان في وسط الغرفة طاولة عليها فراش مغطى بمتنوع ونوفه ملاءة بيضاء نظيفة ووسادة . وتحت الطاولة ملاءة بيضاء مكنة الى السجادة بالديبايس . وعلى مقربة منها طاولة اخرى اصغر من الاولى مغطاة بغطاء ابيض وعليها آية كبيرة تخوري على محلول من الهامض الكربوليك نسبة ١ الى ٢٠ لتطهير آلات الطبيب الجراحية . وقد نقل من الغرفة كل الاثاث الذي لا لزوم له كالمصور والتحف وغيرها وفرش على طاولة الابس وعلى صندوق البوارير الملاءات البيضاء حتى انك كيفما التفت ترى الاغطية البيضاء النظيفة . وكان على المنضلة طسوت وباريق ملئى بالماء الفاتر . وكان عليها ايضاً اناءان للصابون فيهما الواح الصابون الجديدة وفي كل منهما فرشاة جديدة ليدي الجراح واظفارهم وصددوا فرم من المناشف النظيفة وسطلان للماء الوردى وبذلك ايضاً ابريقان آخران ملانان بالماء الغالي ومغطيان بقطعتين من الشاش النظيف اللذي يحلول الهامض الكربوليك . وكانت الممرضة مرتدية بتياب بيضاء وردية اللون وعليها مريول ابيض وطاوية بيضاء وكان ايضاً . وكانت خفيفة الحركة جميلة

الوجه تبدو عليها دلائل الادب والتهديب فكان لها اعتبار عظيم في عيني وقد ذهبت لعيادة صديقي بمد ذلك بايام قليلة فوجدتها مضطجة على فراش جميل في غاية النظافة وعلى وجهها دلائل الراحة والمسة . وقد تغيرت غرفتها عما كانت عليه قبل اجراء العملية فاعيد اليها كل الاثاث والرياش والتدور وضعت فيها آية التدور الجميلة فكانت تنقشر منها الروائح الزكية فتعطر الارجاء . وعلمت من صديقي ان مرضتها لم تكن تسمح للخدام بدخول غرفتها بل كانت تخدمها بنفسها وتكس الغرفة وتنفض الغبار عن الاثاث وتظف المسئلة بكل خفة ونشاط . فلا عجب ان بدت على وجه صديقي دلائل العافية والنقه ولا غرو ان تهتفت من فراش المرض في وقت قصير وقد اعثفت بها وسهرت عليها ممرضة اتصفت بالتهديب والنشاط والمهارة

استعداد المريض قبل اجراء العملية

علمت كيف تمد الغرفة للعملية الجراحية بملاحظة تلك الممرضة الحاذقة التي هي مثال للمرضات والان ابين لك كيف يعد المريض لهذا العمل الخطير على المريض ان يغسل بالماء الحار قبل اليوم الذي تجرى فيه العملية وان يمسح جسمه مسحا جيدا بالرشاة والصابون . ثم تأتي بزجاجة من الايثرفنيل يد قطعة من القطن المتدوف وقسح به العضو الذي تجرى فيه العملية فترى القطن يسود بما يزيله من الرميح الذي لم يزل بالاغسال . وعاود ذلك مرارا الى ان ينظف العضو تماما . ثم غطس قطعة كبيرة وسميكة من القطن المتدوف في محلول من الزئبق بنسبة جزء الى الف جزء وضعها على مكان العملية وغطها بقطعة من مشمع الحرير ثم ضع فوق هذه قليلا من القطن المتدوف واربطها جيدا . وعلى المريض ايضا ان ياخذ مسهلا قبل يوم العملية . ويجب ان يحقن قبل العملية بضع ساعات وهذا الامر ضروري جدا في كل الحوادث البطنية وفي التزيف الدموي وغيرها . وفائدة تتريق الامعاء وتظيفها ان ذلك يمنع تأثير الكلوروفورم في بنية المريض . ولا بد من بقاءه في السكون التام مدة الايام الاولى بعد العملية فلا يضطر الى النهوض من فراشه لقضاء حاجاته وازعاج نفسه بل يلزم السكون ويتحاشى الحركة وهذا يزيد رجاءه في نجاح العملية ويقصر مدة ملازمته للفراش

ويعطى المريض قليلا من المرق الحيد قبل مباشرة العملية بربع ساعات ويمنع بعد ذلك عن تناول اي شيء كان حتى عن تناول جرعة من الماء . ويلبس الثياب الواسعة بحيث يسهل على الجراح الوصول الى المكان الذي تجرى فيه العملية . ويجب ان لا يربط شيء حول وسطه

وان تحل العرى من حول عنقه . ولكن ثيابه دائنة لقيه البرد فكم من مريض أثر فيه البرد وهو على طاولة الجراح

المعالجة بعد اجراء العملية

املا الزجاجات بالماء الحار وضعها بين قدميه في الفراش لتدفئها ولتها قبل وضعها بقطع من الفلانلا لئلا تحرقها . ولّف المريض بلاءة دائنة . ولكن انزع الملاءة والزجاجات اذا شكا كثرة الحرارة لان ذلك يدل على انه لم يعد لزوم لها

لا تترك المريض وحده . ولا تقدم له طعاما الا اذا طلبه فاعطه حينئذ شيئاً من الشاي او القهوة القوية او الماء الناتر ثم اعطه شيئاً من الخبز واللبن او الرز واللبن وبعد ذلك يمكنك ان تناوله شيئاً من الطعام العادي . واذا كان مصاباً بالحى فاياك ان تعطيه ماء ليشرب مها انتكى من شدة العطش . واذا دامت الحى عليه وارتفعت . درجتها فاعطه قطعة من الجليد يمتصها او ماء حاراً ليشربه وهذا يغسل معدته . ويمكنك ان تضع على معدة المريض لوزة من الخردل

وانظر اذا تبع العملية نزف دم ولا سجا اذا كانت قطع اللسان او تبرعضو من الاعضاء وهذا امر تسهل معرفته ويرى حدوثه بالعين . واما اذا كان النزف داخلياً فعليك ان تراقب الاعراض والدلائل . وهذه الاعراض هي اصفرار الوجه والاغشاء وحركة غير منقطعة بحيث ترى المريض يري ذراعيه بغير انقطاع الى حنا وهناك وايضا من اليدين والاطراف والشتين والانف . ويسرع النبض في ضرباته سرعة عظيمة الا انه يصير خفيفاً يصعب الشعور به فيزفر المريض ويتهد عروضا عن ان يتناس تنفساً طبيعياً

فاذا كان النزف داخلياً يحجز المداوي عن توقيفه ودفع شره وليس في طاقته الا ان يحقن المريض بالماء الحار ويضع زجاجات الماء الحار بين رجليه وحول جسمه . وفي هذه الاحوال افحج التوافذ لتجمد الهواء

واذا كان النزف خارجياً فضع قليلاً من القطن المندوف الجديد فوق الجرح واربطه الى ان ياتي الطيب . والمرضة الخبيرة تعرف كيف توقيف النزف بان تضغط على الشريان او بان تنزع الرباط وتضغط على الجرح تنسو حتى يضل الطيب

ولا بد ان ياتر الجسم بعد اجراء العملية الجراحية فترتفع درجة الحرارة قليلاً ولكن اذا لم يزد هذا الارتفاع على درجة واحدة فلا داعي للعدر والتخوف

وابقى المريض هادئاً ولا تفاق راحته وخلّ عنك اظهار امانته والعروطف الحبية في مثل

هذه الاحوال . مثال ذلك اني لما كنت في مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت اتاني البراب يومًا وهو حائر في امره وقال لي : " عفواً سيدتي فان كل اقارب الرجل الذي عملت له العملية الآن دخلوا المستشفى رغمًا عني " . وقد ساء في ذلك منه جدًا واخرجت غضبة ولكني عذرتة لما رأيت حول سرير المريض جمهوراً كبيراً من اقاربه يبلغ عددهم مائة عشر شخصاً . فلا غرو اذا عجز البراب عن مقاومتهم جميعاً . وقد كان المريض يشن ويتوجع ويرمي بذراعيه الى هنا وهناك وينادي " اني سأموت اني سأموت ومن بهم بالولادي " ولم يكن من العملية خطر ولكنها كانت مؤلمة فاعطيناه شيئاً من المورفين المسكن الالم ولذلك كنت متيقنة انه لم يكن يشكو المآ البتة

ووقفت برهةً اتأمل في ذلك الجمهور المحيط بسرير المريض وهو يفسح ضجيجاً فيقلق جميع المرضى ويسلب راحتهم ثم تقدمت من امرأة وقلت لها من انتِ ؟ اجابت انا ابنة عمه . فقلت لها اذا كنت تحبين ابن عمك فتكلمي بالطروج من غرفتي . وقلت لرجل من انتِ ؟ قال انا احد جيرانه . فاجبتة اذا كنت تحب جارك تخله وحده . وسألتُ ثالثة ومن انتِ ؟ اجابت اني سلتة زوجة اخيه . وكان البعض منهم ينظرون اليّ شزراً وغيرهم يقهقهون ضحكاً فاخرجتهم من غرفة المريض واخبرتهم ان العملية ليست خطيرة ولكنهم اذا ارادوا ان يعتنواهم بمريضهم فالاحسن ان ينقلوه الى بيتي وينقلوه ذلك هناك . فلما سمعوا كلامي خرجوا من غرفتي هذه مرة من المرات العديدة التي التقيت بها بالجمهور من اصدقاء المرضى واقاربهم الذين يزورونهم زرافات على اثر اجراء عملية لم ليظفروا لهم حبيهم واكرامهم فيرتعجونهم ويقلقونهم ويضرونهم أكثر مما ينفعونهم

وكنت ارى بعض المرضى يضعون بصلة في منديلهم ويشمون رائحتها كأنها وردة او باقة من البنفسج . وهم يعتقدون ان رائحتها تطرد الروائح الكريهة والميكروبات من الجراح وتعمل في شفائها غير حاسبين في الوسائل الصحية العاجلة ~~والتي~~ التي تضاد للفساد التي استعملت اثناء العملية وبعدها في تعقيم الجراح وربطها

الفصل الخامس

الترخيص في العمليات الجراحية الخصوصية

يلقى المريض على فراشه بعد اجراء العملية الجراحية مستلقياً على ظهرو وتوضع وسادة واطئة تحت رأسه ويمال رأسه الى الجهة الواحدة وتوضع منشفة تحت ذقنه وطست بجانبه

ليكون قريباً منه إذا اراد التتيؤ . فان اراد ذلك فلا ينهض في فراشه بل ضع يدك تحت رأسه وارفعه قليلاً بلطف وتأن

ومن العمليات ما تقضي على المريض بتغيير هذا الوضع وهنا تظهر فائدة فن التريض ومعرفة اصوله لان طريقة الاعتناء بكل عملية من هذه العمليات تختلف عما هي في غيرها . ويجدر بنا ان نلاحظ بعض هذه العمليات التي قد تحتاج المرحة الى تمرئها مبتدئين من الرأس

العينين

الكتكركتا (الماء الازرق) — وهو نحو بشكل العدسة ينمو في العين فيغشها اولاً ثم يزول نظرها . ولا يستطيع الطيب استعمال هذه للفشاوة حتى يتم نوماها وتصبح صلبة وقد لا يتم ذلك الا في سنة او سنتين . فعلى المصاب ان يتذرع بالصبر الجليل ويحتمل هذه المصيبة بالحزم والتأني . والعملية نفسها قصيرة المدة ومهله الا انها تستدعي حذقاً ومهارة من الطيب . وهي ايضاً نظيفة لا تستدعي التحوطات لكثيرة اذ لا ينزف الدم منها . ويعطى المصاب شيئاً من الكوكابين قبل اجراء العملية فنحدر اعصاب العين ولا يعود يشعر بالآفة . واهم شيء في هذه العملية الاعتناء بالمصاب في الايام الاوائل بعد اجرائها فيجب ان تعصب عينيه وان ينضغط على ظهره مستويًا ويتحاشى كل حركة عدة ايام . ولكي لا يحرك فكيف يعطى الاظمة السائلة في الايام الاوول ثم الاظمة اللينة كالشيز المبلول باللبن او المرق او الرز او البيض وما شابه ذلك وعليه ان لا ينهض من فراشه في الايام الاوول فان اضطر الى ذلك فتقدم له كرمي الفراش ولا تنس ان تعطيه مسهلاً قبل اجراء العملية وان تحمته قبل العملية بضع ساعات ويمكنك ان تصلح فراشه وهو عليه بان تزيحه من جانب الي آخر منه

ولا تنس في فعلك هذا ان تسند رأسه لكي لا ينزعج . واذا قلق في الليل وجعل يتقلب في فراشه ولا ينقطع عن الحركة فانزع عنه ثياب النوم والبسة غيرها واصح له فراشه فتعاوده راحته اذا لم يكن يشكو الماء . وقد يشكو الماء في ظهره فامدد يدك الى تحت ظهره وافركه بالسبيرتو واصح ثياب نومك والملاءة التي تحته ووفقه فيستريح

ولا يجوز لاحد البتة ان ينزع رباط العينين الا اذا كان طيب العين او ممرضة خيرة اللحية — قد يصاب الجفن الاعلى من داخله ببزور صغيرة تحوي غالباً على مادة صديدية تسبب الهيجان والالام الشديد . واذا لم تفجح المعالجة في ازالة هذه البزور فعلى العايب ان يزِيلها بالحك والكنشط . ويسيل اثناء هذه العملية مقدار كبير من الدم ولذلك يحسن اتخاذ التحوطات اللازمة كغطاء من الشمع فوق الوسادة اثناء العملية وبعدها الى ان ينقطع الدم . ويشعر

المصاب بالراحة التامة حالاً بعد العملية إذ يزول التخثر المؤلم المرعج للحال وعلى الممرضة ان تغسل الجفن بالماء النابت ررارة متعددة في اليوم الاول والثاني الى ان يزول التهاب . وقد يحس الطيب الجفن بعد ذلك بحمل قوي من الزيتق

التراخيموما (الشعرة) - من الامراض التي تصيب العين ان ينثني هديها الى داخلها فيخترها نخراً مستمراً يسبب فيها قروحاً ويحدث الماء مبرحاً . ولتقوم الهدب طرق مختلفة تبركيا للطيب لانها من عملها ولكنها اذا استعمل طريقة تطعيم الجفن من داخله فلي المصاب ان يبقى هادئاً ويتحاشى كل حركة في الايام الاول بعد اجراء العملية . واني اعرف امرأة ازلت بدموعها كل الاجزاء الطعمة في الليلة الاولى بعد العملية . وهنا أقول انه اذا كان الرشح في سائر العمليات الجراحية يسبب تسهماً في الدم حتى قد يعقب الموت فقلة النظافة في عمليات العين وقرىضها تؤدي الى العمى وفقد البصر من غير ريب فلا تستعمل الماء التي المغلى في آية نظيفة

عملية استئصال اللسان

استئصال اللسان اذا كان لا بد منه امر مخزن جداً الا انه قد يكون الوسطة الوحيدة لحفظ حياة المصاب وتخفيف آلام الموت . ولا يقطع اللسان الا اذا اصيب بداء السرطان . ومن كبار الاطباء من يتاصل اللسان استئصالاً كلياً اذا رأى عليه بقعة من السرطان لا يزيد حجمها عن حجم حبة العدس فينجي حياة المصاب من الموت الزؤام ويريجو من الآلام المبرحة . ويقتو السرطان في اللسان بسرعة غريبة ويسبب اوجاعاً شديدة فيوت المصاب به من الاختناق والجوع . فاذا علم المصاب ذلك تبين له ان استئصال اللسان وان كان امراً مخزناً مؤلماً فهو افضل واسهل واسطة لنجاته من الموت ألماً وجوعاً واختناقاً

ومنى تم اجراء العملية فلا يلقى المصاب على ظهره مستلقياً بل يُسند بعدة مسادات حذراً من نزف الدم وهو صاعد الى الرأس

وهذه العملية خطيرة جداً وفيها مجال واسع للمرضة لتبدي خبرتها وحسن نصرتها . فيجب ان لا يترك المصاب وحده في الايام الاول بعد اجراء العملية بل يراقب بالثاوية ليلاً ونهاراً حذراً من نزف الدم وعلى المرضة التي تسهر على المريض ان تكون قد اخذت حاجتها من النوم والطعام والراحة والهواء التي قبل السهر والا فهي لا تصلح لذلك لانها قد تنام عند اشد الحاجة اليها عندما يكون النزف قد بدأ والمصاب تعرض لخطر الموت . وعليها ان تراقبه بدون ان تدعه يعلم ذلك فيمكنها مثلاً ان تأخذ كتاباً تقرأه او ثياباً تحيطها وتحظر اليه اثناء قراءتها او عملها مرة بعد مرة

فاذا حدث النزف فارسل عاجلاً واعلم الطيب بذلك وادفع له حقيقة الحال لكي يأتي مستعداً لعمل ما يجب عمله . واما انت فضع اصبعك الاماميتين الوسطى والسبابة على اصل اللسان واضغط عليه وعلى الفك الاسفل حتى ينقطع النزف الى ان يأتي الطيب . ومن الجراحين من يربط الشريان الكبير بحيط ويتديه مربوطاً اياماً قليلة بعد اجراء العملية في مثل هذه الحال ليس على المرضة الا ان تاخذ الخيط وتشدهُ بتأنٍ .

الطعام . تناول المصاب الطعام في الايام الاول بعد اجراء العملية بطرق منها :
 اولاً . ان يحقن في المستقيم اي القسم الاسفل من الامعاء بالسائل المغذية كالمرق القوي والشاي والبيض واللبن او غير ذلك مما يصنعهُ له الطيب ويتجدهُ في الاجرئانات ثانياً . ان تدخل انبوبة من الكوتشوك في حلق المصاب وتسكب فيها الطعام السائل المغذي ثالثاً . ان تدخل انبوبة دقيقة جداً من الكوتشوك في انف المصاب وتدليها الى حلقهِ وتسكب فيها الطعام السائل وهذا يتدعي الخبرة والحذقة

فاذا استعملت طريقة الحقن في المستقيم فلا تنس ان تحقن بالماء الفاتر كل يوم ويحفظ النعم نظيفاً بان يحقن مرات متوالية بمحلول خفيف جداً من برمنضات البوتاسيوم المعروف بسائل كوندري او بمحلول الحامض البوراسيك . والا فان المواد الفاسدة التي تتجمع في النعم تعمل كالمس وتجعل الحياة في خطر شديد

اشهر المحللات

الخيار

الطريقة الاولى - ينتقى الخيار الصغير او المعتدل الحجم وينقع اسبوعاً في الماء الكثير الملح ثم يصب ماء الملح عنه ويغلى (الماء) ويصب عليه ثانية وفي اليوم التالي ينزع الخيار من ماء الملح ويوضع على منخل حتى يجف ويمسح ويوضع في زجاجة واسعة ويضاف اليه قليل من الحواريق كالتزيميل والنفلل الحار والفلفل الاحمر ويصب عليه حلالاً خل قوي وهو يغلي ويتروك حتى يطيب في اناء مسدود

الطريقة الثانية - خذ اوقية من الزيميل المرصوص ونصف اوقية من الفلفل غير المدقوق وربيع اوقية من الاليسس واربعاً من كبش الترنفل وورقتين من غلاف حوز الطيب وقليلاً من الشفطة او الفلفل الاحمر الحار . وهذا المقدار من الزيميل والفلفل الخ يكفي لتخوافة من اظلم اتقع الخيار المتغير في الماء والملح ثلاثة ايام الى اربعة ثم اخرجهُ من الماء والملح واسمحهُ

حتى ينشف وضعة سيفي اناه كبير واغل اخل مع الزنجبيل والفلفل وساثر المواد المذكورة فوق
وصب منه على الخيار حتى يغمره وغطه بورق العنب وضع صحفة او شيئاً ثقيلاً فوق ورق
العنب حتى لا يظهر الخيار فوق اخل وضع الاناء الذي فيه الخيار واغل قرب النار او في مكان
دافئ الليل كله . وفي الصباح صب اخل عن الخيار واغل اخل وصبه على الخيار ثانية وغطه
بورق جديد من ورق العنب واتركه حتى يبرد ثم اربط على وجه الاناء غشاء صفيحاً كاللثانة
او نحوها او سد الاناء اذا كان زجاجياً بقلية والحما بشمع الختم . والمراد منع الهوام من الدخول
الى الخلل فيطيب جيداً في شهر من الزمان ويكون حاذقاً حاراً طيب العلم كالتخللات الافرنجية .
والا ليسيس المذكور بين البهارات نوع من بهار جايكا طعمه يشبه القرقة ويجوز الطيب وكبس
القرنفل معاً

الخلل الهندي

يؤخذ ست حصص من الثرم وثلثان من القبل البري الحار (نجل الحصان) وربع رطل
من الزنجبيل المرصوص واوقيتان من الفلفل الاسود غير المدقوق واوقية من قرون الفلفل الاحمر
واوقية من الاليسيس و ١٢ كبشاً من القرنفل واوقيتان من بزر الخردل واوقية من جذر الكركم .
وهذه البهارات تكفي لثلاث اقات من اخل . ثم يؤخذ من الكرنب (الملقوف) الابيض
والقنبيط والقجل الافرنجي واللوياء والخيار الصغير والبصل الصغير والفلفل (الفليفلاء)
والكرسون (المرجير) والفلفل الاحمر او الشنطة ما يراد تحليله . ونقطع اوراق الكرنب قطعاً
صغيرة وكذلك القنبيط وتوضع في اناه واسع ويذر عليها الملح وتترك فيه يومين ثم تنضف
وتنشف وتوضع في اناه كبير لعمل الخلل ويوضع معها الثرم والكراث والزنجبيل حسب المقادير
المذكورة فوق بالنسبة الى اخل وينلى اخل الكافي لتغطيتها ويصب عليها اما المواد الاخرى
كالخيار واللوياء والبصل والقجل والفلفل اخل فتضاف الى الكرنب والقنبيط كلما امكن الحصول
عليها ولا بد من غسلها باخل البارد قبل اضافتها الى اناه للخلل ويجب ان يغطيها اخل كلها
حتى لا يبقى منها شيء ظاهراً فوقه . واذا لم يكن اخل كافياً واريد ان يضاف اليه خل جديد
وجب ان يغلى قبلما يضاف . ومتى تم جمع كل المواد التي تريد تحليلها امزجها جيداً وضعها
في زجاجات واسعة من غير اخل ثم اغل اخل وصبه عليها حتى تمتلئ الزجاجات واطفئ النيران
البهارات بعد مزجها بالقليل من اخل البارد ويصب اخل على هذه المواد وهو غالٍ ومتى يبرد
تسد الزجاجات سداً محكمة بالنلين وشمع الختم او بجلد المثانة لكي لا يدخلها الهوام . واذا اريد
استعمال الخلات حالاً يغلى لها اخل مرتين اي يغلى اولاً ويضاف اليها متى يرد يصب عنها

ويبقى ثانيةً ويعاد اليها . والاحسن ان يصنع هذا الخلل في سنة وبوكل في التالية ويمكن حفظه سنوات كثيرة واكثر للخللات الافرنجية مصنوع على هذه الصورة

باب الزراعة

زراعة القطن

من مقالة للمسترفدون سكرتير الجمعية انكليوية الزراعية (تابع ما قبله)
اذا اعدت الارض على ما تقدم في الجزء الماضي يشرع في زرعها حالما تسمح احوال الجو بذلك من اواسط مارس الى اول مايو حسب الاقليم وعندئذ ان التبكير خير من التأخير واذا بكرت في زرع القطن جعلوا عمقه قليلاً جداً لكي تصل اليه حرارة الشمس . واذا بكرت الزرع طالت مدة اقامته في الارض وزاد جناه . والحال كذلك في القطر المصري على ما يظهر ولذلك اشتد الميل هنا الى التبكير

والقطن المزروع باكراً ينمو بطيئاً ويكون نموه منتظماً ويفرع أكثر من القطن المتأخر على ما نظن لان الحريكون قليلاً في صفوه فلا يميل الى الارتفاع الكثير كالقطن المتأخر وغلته أكثر من غلة القطن المتأخر لانه يقيم في الارض أكثر منه

وتبذل الارض في اميركا في فصل الخريف ويحشى المزارعون من الجليلد الاول والاخير لانهما يقتلان الزرع فاذا زرع القطن قبلما تجلد الارض في فصل الربيع انضر منها وكذلك ينضر اذا جاء الجليلد في الخريف قبلما يجمع كله

وحالة الجو في القطر المصري اصح منها في اميركا وقد يبرد الهواء او يقع المطر بعد زرع القطن ولكن الغالب ان يكون الهواء موافقاً للقطن المبكر . ويقال في اميركا ان القطن المبكر لا يكون كثير الحشب ولا خشناً كالقطن المتأخر

كيفية الزرع — ويزرع بزر القطن في اعلى المصطبة لا في جانبها كما في هذا القطر وذلك لان الارض لا تروى في اميركا كما تروى في القطر المصري بل تعتمد على المطر

فيشق اولاً تلم صغير في اعلى المصطبة عمقه عقدتان (بوصتان) او ثلاث ويلقى البذر فيه ويغطي بالتراب الى عمق عقدة او عقدتين ويشق هذا التلم بجراث صغير يجره بغل وكذلك تغطية البذر . ورجل ونعمه بغل يزرع ٦ اذنية الى ثمانية في اليوم والزرع يكون بالة خاصة تأتي البذر على

انتظام تام ويتم ذلك كله في وقت واحد وبآلة واحدة تشق التلم وتضع البزر وتغطيه بالتراب وقد يكون يد رجل آخر يجري وراء الحارث يضع البزر في التلم ويغطيه بالتراب وآلة الزرع كهربة اليد يوضع البزر فيها وحينما يدور عجلها يفتح ثقباً صغيراً يقع البزر منه ثم يسده ثم يفتح وحلم جرّاً اما السود من سكان اميركا فلا يستعملون آلة الزرع (الزراعة) بل يضعون البزر في انبوب طويل من الصنم طوله خمس اقدام اوست وهو واسع من اعلاه كالقمع فيحمل الزارع البزر في كيس كالمخلاة يعلقه بكفتيه ويضع البزر منه في الانبوب فيقع رويداً رويداً في التلم ويغطي بواسطة لوح يجزئ فوق التلم والارض الجيدة التي لا تحتاج الى سماد كثير يمزج السماد لها مع البزر ويشترط ان يكون السماد قليلاً والياً اصراً بالبزر

وقبل استعمال آلة الزرع كانوا يزرعون بزر القطن كما يزرع الآن في القطر المصري كانت النساء تزرعه قزح المرأة فدائماً كل يوم وذلك يقتضي استعمال بزر أكثر مما يستعمل بواسطة آلة الزرع اما آلة الزرع فتلقي البزر والبعد بينه عقدة عقدة ثم يخفف بعد ما ينبت انتقاه البزر او النقاوي ضروري جداً فانه لا يمكن ان يكون محصول القطن جيداً الا اذا كانت نقاويه متقاة ومن صنف واحد

في الوجه البحري من القطر المصري يزرع الآن ثلاثة اصناف من القطن وهي العفيني والمباسي والينوتش فالبعض يزرعون صنفاً واحداً والبعض صنفين والبعض يزرعون الاصناف الثلاثة فيصعب على المزارعين ان يبقوا هذه الاصناف مفصولة بعضها عن بعض واذا فصلوها في الزراعة لا يستطيعون الفصل بينها عند جنبها وتخزينها وكذلك يعسر الفصل بينها تماماً في وابورات الحلج . ثم هب ان اصناف القطن فصلت بعضها عن بعض فصلاً تاماً وزرع كل صنف على حدة في طينين متجاورين فالنخل يحمل اللقاح من الصنف الواحد ويلتصق به الصنف الاخر فيتولد بينهما صنف ثالث وحلم جرّاً

ويتقى البزر الان بواسطة غربال في وابورات الحلج يغربل الحبوب الضامرة من بين الحبوب الجيدة ولكنه لا يفصل صنفاً عن آخر

ولا شبهة ان بعض التجار ينتقون البزور من الجنية الاولى ويغربلها بغرابيل خاصة وبزرم احسن جداً من البزر غير المنتقى ولكن ما من احد منهم يعرض للبيع بزر القطن العفيني ويحتمق انه عفيني صرف لا يخالطة بزر آخر وليس اللوم كله على تجار البزر بل على المزارعين لانهم يمزجون القطن في زرعهم فلا يتيسر للتاجر ان يفرق بينه

وقد برع الاميركيون في انتقاء بزر القطن المعروف بالسلي ايلند وبلغوا في تاصيله حدّاً

فاتقاً جداً فلا ينجارون البزر (التقاي) إلا من الشجرات النامية الكثيرة اللوز الكثيرة التمام في حاسبين ان صفات الشجرة التي ينجارون التقاي منها تنتقل الى الاشجار التي تنبت من هذه التقاي وقد تزيد جودة لان النبات اذا مال الى السير في طريق الجودة او الفساد اذ جودة او فساداً على توالي الاعقاب . فاذا كان منتقى البزر ماهراً عرف الجودة التي يكون النبات متجيباً فيها حتى اذا كان مائلاً الى الجودة قوامها بالانتقاء حتى تصير صفة متمكنة فيه . وقد يختار من بزر الشجرة الواحدة ما تظهر فيه هذه الصفة دون غيره لانها لا تظهر في كل البزر على حدٍ سوى مثال ذلك البزر النظيف الذي لا يكون شعر القطن لاصقاً به فانه قد يكون في الشجرة الواحدة بزرلت قبيلة نظيفة من شعر القطن وما بقي لاصق شعره به فيختار البزور النظيفة وبزوعها ويترك غيرها . ولذلك فاتقاه التقاي يستلزم الوصول الى شجرات القطن كل شجرة على حدٍ ما بل يستلزم الوصول الى اللوز لوزة لوزة والى البزر بزرة بزرة ولا يقتصر على الحوض او على الدراع منه وقد ذكرت هذا الكلام مقدمة لما يفعله الامير كيون في انتقاء تقاي قطن الذي ابلند

الذي هو اجود انواع القطن كلها وثمنه مضاعف ثمن القطن المصري

لما ادخل هذا القطن الى اميركا كان ممرراً كالا شجار اي كان يبتى من سنة الى سنة ولم يكن لوزه ينضج في السنة التي يزرع فيها . فاول شيء قصد تغييره فيه جعل لوزه ينضج في السنة التي يزرع فيها فشرعوا ينتقون التقاي من الشجرات التي ينضج لوزها قبل غيره واستقروا على ذلك وعلى الاعتناء بالحرث والخدمة والسياد حتى ولدوا صنفاً من هذا القطن ينمو سريعاً وينضج لوزه سريعاً وشعرته على غاية الجودة

ولذلك فالقطن المعروف بالسلي ابلند تولد بالانتقاء وقد بلغ اعلى درجة بين اصناف القطن ولكن لا يمكن حفظه في هذه الدرجة الا بتداومة الانتقاء واذا اهلوا انتقاؤه عاد نوعه ففسد وصار كما كان قبل الانتقاء لكن الذين يزرعونه يمكن ذلك فلا يهملون امره

وتحتم في القطر المصري عندنا القطن الذي يتلوا السلي ابلند في الجودة ولكن الفرق كبير بين اهتمامنا بانتقاء تقاويه واهتمام الاميركيين بل يجب علينا ان نقول اننا لا نهتم اقل اهتمام بانتقاء تقاي القطن . وفي السنوات الاخيرة اهتم البعض بزراعة اجود ما عندهم من البزر ولكن كثيرين لم يفعلوا ذلك فاجود ما عندنا من القطن حقير جداً من جهة التقاي

ثم اذا نظرنا الى القطن في حوض واحد فاننا نجد فرقاً بين شجراته ولو كانت من صنف واحد وكانت صفاتها المامة مشتركة فنجد ان بعضها ينضج قبل البعض وبعضها ينضج اكثر من البعض وبعضها ينضج اكثر من البعض ولوز بعضها اكبر من لوز البعض الآخر وهذا الاختلاف

بين الشجرات المختلفة هو اساس الانتقاء لختيار التقاوي من الشجرات التي رأينا فيها الصفات المطلوبة فاذا اردنا قطعاً في سنة مخصوصة وجب ان نتش عن الشجرات التي فيها تلك الصفة مثال ذلك اذا اردنا كبر المحصول وجب ان نتش عن الشجرات التي فيها لوز أكثر من غيرها لان التقاوي المأخوذة منها ينتظر ان يكون محصولها أكثر من محصول التقاوي المأخوذة من غيرها . واذا اريد جودة القطن لاكثره محصوله لنتي التقاوي من اللوزات التي قطنها اجود من قطن غيرها فيكون قطن الشجر الثابت منها اجود من قطن غيره . واذا اريد التبكير في المحصول تختار التقاوي من اللوزات التي تنضج قبل غيرها فينتظر ان الشجرات التي تثبت منها تنضج قبل الشجرات التي تثبت من تقاوي اخرى . وكلما ارب الفرس الاصيل تنتج خيولاً اصيله كذلك القطن الجيد يتولد منه نبات ينتج قطعاً جيداً

ويقصد في انتقاء التقاوي الى غرضين مهمين الاول الحصول على المقدار الاكبر من القطن والثاني الحصول على النوع الاجود منه ولا يمكن اختيار الامرين معاً في وقت واحد ولكن اذا زرعت اجود انواع التقاوي التي يمكن الحصول عليها ثم أخذت التقاوي من الشجرات التي كان منها المحصول الاكبر فالمنتظر ان يكون محصولها كبيراً وجيداً والقاعدة الملقطة ان يفتش المزارع عن كبر المحصول مع جودته والطريقة المتبعة في اميركا لا انتقاء التقاوي هي هذه تختار قطعة من اجود انواع الارض الصالحة للقطن ويزرع فيها اجود انواع التقاوي التي يمكن الحصول عليها وتخدم احسن خدمة وتسمد باحسن سماد ثم يفحص شجرتها شجرة من حيث كثرة اللوز وكبره وشكل الشجر ويختار اجودها ولتفرض الشجرات المختارة بلغت خمسين شجرة فتوضع لها علامات تعرف بها . ثم يمر عليها ثانية ويختار من هذه الخمسين شجرة خمسا وعشرين اجودها ويوضع عليها اعداد من ١ الى ٢٥ وحين الجمع يجمع قطن كل شجرة على حدة ويوضع بزر كل شجرة وحده ويوزن ويقابل بعضه ببعض وينتق اجوده ويوضع في اكياس خاصة بحيث يكون بزر كل شجرة في كيس على حدة . هذا هو انتقاء السنة الاولى

وفي السنة الثانية يزرع بزر كل شجرة من هذه على حدة والغالب ان بزر الشجرة الواحدة يبلغ من ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ومتى كبر الشجر الثابت منه وبلغ اشده يمر المنتقي عليه ويفتش عن الصفات الخاصة التي كانت في النبات الاولي ليري هل هي ظاهرة في النبات المتولد من بزره فاذا وجدها ظاهرة اختار التقاوي منه والا اهماله والشجرات التي ظهرت فيها الصفات المطلوبة تدل على ان تلك الصفات قوية فيها والغالب ان تؤخذ الشجرة التي ظهرت فيها تلك الصفات على اشدها وتؤخذ التقاوي منها وما بقي من الشجرات التي من صنفها يملج وحده ويزرع بزره

وحده وهو يكفي خمسة افدنة في السنة الثالثة اي ان الشجرة التي تنبت في السنة الاولى يخرج منها من التقاوي في السنة الثانية ما يكفي لزراعة خمسة افدنة في السنة الثالثة وفي السنة الثالثة يزرع بزر الشجرة التي انتجت في السنة الثانية وحده وبتدقيق النظر في الشجر الذي يتولد منه فاذا ظهرت الصفة المطلوبة فيه كله أخذت التقاوي من اجود شجراته والى أخذت من اجود شجرة فيه وبزر الشجرات الباقية يستعمل تقاوي بجانب من الارض وتختار منه تقاوي بقيمة الاطيان للسنة الخامسة اما التقاوي في السنة الرابعة فتكون من محصول الخمسة افدنة المذكورة آنفاً وفي السنة الرابعة يزرع تقاوي الشجرة الوحيدة التي اخيرت في السنة الثالثة في مكان خاص وتختار التقاوي من احسن شجرة تثبت منها وعلماً جراً لنفرض ان رجلاً يزرع القطن في خمسين فداناً فيكون انتقاؤه للتقاوي على هذه الصورة

السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
تختار شجرة واحدة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها خمسة فدان	يزرع منها ٥٠ فداناً	
	تختار شجرة واحدة من الخمس مئة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها خمسة فدان	يزرع منها ٥٠ فداناً
		تختار شجرة واحدة من الخمس مئة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها ٥ فدان
			تختار شجرة واحدة من الخمس مئة الفدان	يزرع منها ٥٠٠ شجرة
				تختار شجرة واحدة من الخمس مئة الفدان

ولا بد من اختيار أكثر من شجرة واحدة إذ قد يحدث أحياناً ان التقاري الناتجة من الشجرة لا تكون جيدة مثلها بل تكون دون المتوسط ولذلك يحسن ان يختار كل مرة عدة شجرات وتؤخذ التقاوي من بزورها فإذا أخذت خمس شجرات في السنة الأولى حصل منها تقاوي كافية لزراع ٢٥ فداناً في السنة الثالثة

وقد بلغ قطن السي ابلند مبلغاً فائقاً جداً من الجودة حتى اقد يباع القطنار من ابلندسة باربعين ريالاً او خمسين حينما يباع القطنار من باقي قطن السي ابلند بعشرين او خمسة وعشرين ريالاً

وإذا كان المزارعون في مصر لا يستطيعون هذا الانتقاء وجب ان يفعلوا غيرهم لهم ومع ذلك نشير بطريقة اسهل مراماً وسياً في وصفها في الجزء التالي

ثمن القطن المصري

نكتب هذه السطور وقد بلغ ثمن قطنار القطن في الكنتونات ١٩ ريالاً او أكثر والمغنون انه يبلغ عشرين او يزيد عليها . ويظهر من ارتفاع سعره المدرج انه ارتفاع تجاري يقصد به ابقاؤه على هذه الدرجة او على ما يقاربها ولذلك لا عجب اذا بيع القطنار من الموسم المتبل باربعة جنيهات او أكثر كما بيع هذا العام ولوجاد المحصول الاميركاني لان الصعوبة التي تجدها العامل الآن في رفع ثمن مصنوعاتها نقله رويداً رويداً إذ يألف الناس زيادة غرشين او ثلاثة في ثمن الليبرة من القطن المغزول والمسوج كما الفوا ثمن القطن لما بلغ اضعاف ما بلغه الآن وقت حرب اميركا

ثم انه اذا تضاعف ثمن القطن لا يتضاعف ثمن المسوجات لان جانباً كبيراً من ثمن المسوجات اجرة عمال وهذه الاجرة تختلف من خمسين في المئة الى أكثر من مئة في المئة فإذا كان ثمن بضاعة مئة غرش وكان ثمن قطنها الاصل ثلثين غرشاً ثم تضاف ثمن القطن فصار ستين غرشاً يكون ثمن تلك البضاعة قد صار مئة وثلثين غرشاً فقط اي زاد ثلاثين في المئة لا مئة في المئة كما زاد ثمن القطن

ولا يخفى انه اذا غلا القطن أكثر الراغبون في زراعته في كل مكان يمكن زراعته فيه ولكن لا ينتظر ان يرخص ثمنه كثيراً حيث انه لا يباع كثيراً منها ان خدمة القطن كثيرة النفقات فلا يستطيع زارعه ان يبيعه بثلثي بحسب الا اذا زرع في ارض جيدة قريبة من مراكز التجارة حتى يسهل نقله اليها ويقتضي ان تكون صالحة لزراعتها صلاحية غير عادية والا فلا

رحم منه فان الاراضي الاميركية التي الف الاميركيون زرع القطن فيها لم يبلغ متوسط محصوله فيها قطارين حتى الآن . وكان الزراعون في فقر مستمر قبل ارتفاع اسعاره فاذا هبطت الاسعار ثانية ساءت حالهم ولم يعودوا يستطيعون زرع ما يزرعون منه الان ثم ان القطن الجيد الذي مثل القطن المصري لا يسهل الوصول اليه في بلاد اخرى الا بعد سنين كثيرة او لا يمكن الوصول اليه مطلقاً فيبقى له المقام الاول بعد قطن السي ايلند في الدنيا كلها

طاعون المواشي والتعويض عنها

لم تبق شبهة في ان طاعون المواشي فتك بمواشي القطر المصري أكثر كثيراً مما بلغ مصلحة الصحة . وقد ذكر الخبراء انك حتى الآن بينة وخمسين الفاً على الاقل اي بنحو عشر كل المواشي التي في القطر وكان فتكها في بعض الاماكن ذريعاً جداً حتى انه لم يبق على ثور ولا على بقرة فيها . وقد خفت وطأته قليلاً ولكنه اذا استمر شهرين آخرين على ما هو عليه الآن فتك بخمسين الفاً اخرى من المواشي

ويشكر ارباب الزراعة في طريقة تقدم مقام المواشي التي تنقت بظن البعض انه يمكن جلب المواشي من السودان ولكن مواشي السودان غير كثيرة كثيرة تمكن من جلب المقدار الكثير منها وهي ممرضة لهذا الداء مثل مواشي القطر المصري او أكثر وينكر غيرهم يجلب المواشي من جنات سورية وبر الاناضول ولكن يماننا الآن انه ظهر مرض مثل طاعون المواشي في سورية وفي بر الاناضول ايضاً ولا يحتمل ان تكون تلك المواشي مما لا يصاب بهذا الطاعون

وقد انجبت افكار المزارعين الكبار الى المحارث التجارية . والشائع من هذه المحارث الآن محراث فول المؤلف من وابورين يقفان على جانبي الدراع ويجران المحارث ذهاباً واياباً ويتقدمان قليلاً ثم يجرانها وهماً جراً . وهذا المحراث غالي الثمن جداً يبلغ ثمنه من ثلاثة الآف الى ثلاثة الآف وخمسة جنيه وثمانمائة كثيرة ومقدار ما يحرثه من الارض في الساعة ليس كثيراً ونقل ثنقات الحرث به عن ثنقات الحرث بالمواشي ولكن ليس كثيراً ولا يمكن استعماله الا في الزراعات الواسعة جداً وحيث يمكن انشاء الكك لسيره

وقد جرب محراث آخر سير في الارض الزراعية ويعزقها عزقاً فتخطط بعد ذلك بمحراث بلدي تجره المواشي فوفى بالغرض في الاراضي الجافة

وانتبه البعض الآخر الى المحارث المختلفة المستعملة في اميركا . فان اميركا بلاد زراعية نكتسب من الزراعة أكثر مما نكتسب غيرها من البلدان واجور الناس فيها غالية جدا فاستخدمت الآلات البخارية في أكثر الاعمال الزراعية وفي جلبتها حرث الارض وصنعت محارث مختلفة الاشكال والاقدار مما قوته عشرون حصانا الى ما قوته مئة حصان ومما يحرث فدانا في الساعة الى ما يحرث عشرة افدنة ومما ثمة خمس مئة جنيه الى ما ثمة الف جنيه . واراخي اميركا الزراعية مختلفة الاشكال والادواع ولكن قلما تكون اسهل من اراخي القطر المصري واخل منها من الحجارة وبذور الاشجار وكل العوائق التي تعيق المحارث البخارية . فاذا كانت المحارث البخارية تفلح فيها فليس ما يمنع فلاحها في البطر المصري على ما يظهر . واذا ثبت بالامتحان انها تحرث الارض ولو لزرع الغلة والذرة وقت باكثر المراد وبجانبها القطر من بلية ثمهه بالخراب

تأليف تقريظ في الامتحان

المواظرات العرب في النحو والاعراب

كتبا بالامس تألف من كتاب في علم الصرف والنحو وآخر للطالبة اختارتها نظارة المعارف المصرية للتعليم في مدارسها والمدارس الجارية بجوها . وقد اعطيا لولد عمره اثنتا عشرة سنة وتكاد مما نيهما ان تكون مشقة علينا بعد ان مارسنا هذه اللغة تعيلا وتعلما وكتابة وتحريرا السنين للطرال ولكن لم يطل تألفتا حتى جاءنا البريد باللائزم الاولى من كتاب في علم النحو وضعه صديقنا الفاضل الاستاذ جبر صموط استاذ العربية في المدرسة الكلية في بيروت فاذا هرقد جرى في كتب الجبر يتقدم من البسيط الى المركب ومن الجزئي الى الكلي بعبارة بسيطة يدرك الطالب معناها من غير مرشد وعلى اصناف كثير الاسهاب والتارين المنتقا حتى ترسخ القواعد في الذهن وتصير اللغة الفصحى ملكة في اللسان كما يظهر من الامثلة التالية المنقولة عن هذا الكتاب

في احكام المعربات بالحركات

وهي الاسم المنرد — ويرفع بالعممة كقولك : زارني رجل عالم : ويُنصب بالثقة

كقولك : رَأَيْتُ رَجُلًا عَالِمًا : وَيَجْرُ بِالْكَسْرِ كَقَوْلِكَ : تَعَرَّفْتُ بِرَجُلٍ عَالِمٍ إِلَّا مَا لَا
يُنْصَرَفُ فَإِنَّهُ يَجْرُ بِالنِّتْقَةِ

وجمع التكسير — وَيُرْفَعُ بِالنِّتْقَةِ كَقَوْلِكَ زَارَنِي رَجَالٌ لَا أَعْرِفُهُمْ : وَيُنْصَبُ بِالنِّتْقَةِ
كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ رَجَالًا لَا أَعْرِفُهُمْ : وَيَجْرُ بِالْكَسْرِ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجَالٍ لَا أَعْرِفُهُمْ :
إِلَّا مَا لَا يُنْصَرَفُ فَإِنَّهُ يَجْرُ بِالنِّتْقَةِ

وجمع المؤنث السالم — وَيُرْفَعُ بِالنِّتْقَةِ كَقَوْلِكَ هُنَّ مُؤْمِنَاتٌ بِاللَّهِ كَافِرَاتٌ بِالطَّاغُوتِ :
وَيُنْصَبُ وَيَجْرُ بِالْكَسْرِ كَقَوْلِكَ : لَمْ أَرَ مُؤْمِنَاتٍ بِاللَّهِ وَهُنَّ غَيْرُ كَافِرَاتٍ بِالطَّاغُوتِ : وَلَمْ
أَرَ مِنْ نِسَاءٍ فَاضِلَاتٍ مَهْدَبَاتٍ نَفِيَّاتٍ كَهَيْدٍ وَأَخْشِيَا :

في التنوين

قُلْتَ فِي الْأَسْمِ الْمَفْرُودِ يُرْفَعُ بِالنِّتْقَةِ وَرَأَيْتَا عَلَيْهِ فِيمَا مَثَلَتْ بِهِ خَمْتَيْنِ . وَيُنْصَبُ بِالنِّتْقَةِ
وَرَأَيْتَا عَلَيْهِ فَمَخْتَيْنِ . وَيَجْرُ بِالْكَسْرِ وَرَأَيْتَا عَلَيْهِ كَسْرَتَيْنِ وَهَكَذَا نِيهَا جَاءَ مِنْ امْتِلَاءِ جَمْعِ
التكسير وامثلة جمع المؤنث السالم فكيف ذلك ؟

والجواب أن الأولى من هاتين الفئتين أو الفئتين أو الكسرتين هي علامة الأعراب وأما
الثانية فهي في اصطلاح الكتابة نون ساكنة زائدة في آخر الاسم المعرب ونسَمَى تَنْوِينًا . وَيُطَوَّبُ
فَاللَّفْظَانِ (رَجُلٌ عَالِمٌ) فِي الْمَثَلِ الْأَوَّلِ وَ(رَجُلًا عَالِمًا) فِي الْمَثَلِ الثَّانِيِ وَ(رَجُلٍ عَالِمٍ) فِي
المَثَلِ الثَّلَاثِ لَوْ كَتَبْنَا كَمَا يَلْفَظَانِ لَكُنَّا كَمَا رَجُلَانِ عَالِمَانِ . رَجُلَانِ عَالِمَانِ . رَجُلَيْنِ عَالِمَيْنِ .
فالنِّتْقَةُ عِلْمَانِ الرَّفْعِ وَالنِّتْقَةُ عِلْمَانِ النَّصْبِ وَالْكَسْرُ عِلْمَانِ الْجَمْعِ وَالتَّنْوِينُ السَّاكِنَةُ فِي التَّنْوِينِ إِلَّا
أَنَّ اصْطِلَاحَ الْكِتَابَةِ لَا يَجُوزُ إِصْلَاحًا أَنْ تَكْتُبَ بِصُورَتِهَا الْحَرْفِيَّةِ بِلِ تَكَرَّرَ رِمْسُ الْحَرْكَةِ الْمُقْتَرَنَةِ بِهَا
فَأَنْ قُلْتَ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ الْأَلْفُ فِي قَوْلِكَ رَأَيْتُ رَجُلًا عَالِمًا فَلَمَّا أَنْ مِنْ اصْطِلَاحِ
الكتابة الذي لا يجوز الإخلال به أيضًا أَنْ تَزِيدَ النَّونَ بَعْدَ التَّنْوِينِ فِي الْأَسْمِ الْمَنْصُوبِ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ آخِرُهُ تَاءً مَرْبُوعَةً أَوْ هَمْزَةً بَعْدَ الْفِ فَإِنَّ الْأَلْفَ يَمْتَنِعُ زِيَادَتُهَا حَيْثُ زِيدَ وَبَكْتُبَ التَّنْوِينِ
بِكَرَارِ رِمْسِ الْحَرْكَةِ فَقَطْ كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ فِي زَيْدٍ شِدَّةً أَوْ حِدَةً أَوْ قُوَّةً أَوْ رِزَانَةً أَوْ خَفَّةً .
وَشَرِبْتُ مَاءً أَوْ دَوَاهٍ وَكَانُوا أَعْدَاءً وَكُتِبَتْ تَاءٌ أَوْ مَاءٌ : وَهَلَمْ جِرًّا

العائد على الموصول

هو الضمير الذي يرجع من الصلة إلى الموصول . وهو مما لا بد منه فإِنْ قَوْلِكَ : جَاءَ مِنْ
سَفَرِهِ مِنْ يَرْكُنُ زَيْدٌ : جُمْلَةٌ لَا يُحْتَمَلُ طَاغِلُهَا مِنَ الْعَائِدِ . فَإِذَا زِيدَتْ فِيهَا بِأَنْ قُلْتَ :
جَاءَ مِنْ سَفَرِهِ مِنْ يَرْكُنُ زَيْدٌ إِلَيْهِ : اسْتَقَامَتْ وَتَمَّ مَعْنَاهَا

والاصل في العائد ان يكون ضميراً غائباً الاً ان الله اذا وقع الموصول خبراً عن متكلم او مخاطب جاز فيه اي في العائد ان يكون غائباً فيطابق لفظ الموصول كقولك : نحن الذين مصراً الامصار . وانتم الذين شادرا مجداً لم يشده غيرهم : وجاز ان يكون متكلماً او مخاطباً فيطابق معناه كقولك : نحن الذين مصراً الامصار . وانتم الذين شدم مجداً لم يشده غيركم : ومثل الاخبار عن مخاطب ان يقع متادى او تابعاً لمادى فاعلم ذلك

تترين مطلوب فيد

(١) ان تعين العائد في الصلة (٢) ان تعين المواضع التي يجوز فيها ان يطابق العائد لفظ الموصول ومعناه (٣) ان تذكر ايها طابق (٤) ان تذكر الصورة الاخرى الجائزة واليك الامثلة الآتية

- (١) الذي يزعه الانسان اليوم يحصده غداً
 (٢) ما انتم الذين يهربون من الحق
 (٣) ايها الذي تكامل في الشبية قل لي متى تجتهد
 (٤) انا الذي تعرفه يا حارث
 (٥) يا ذا الذي ولدتك أمك باكيًا والناس حولك يضحكون سرورا
 (٦) يا من تبدل كل يوم حلة أتي رضية بجملة لا تنزع
 (٧) وانته التي كلنتني دبح السرى وجون القطا بالجهلئين جثوم
 وانته التي احفظت اشلي فكلمهم بعيد الرضى داني الصدود كظيم

والجهلئين اسم مكان . وجثوم جمع جاثم . واحفظ اغضب

- (٨) انتم الذين تفتنون ولا تفعلون ونحن الذين لا نفتنى ونفعل
 (٩) اتق الله في نفسك يا من تعلم ولا تعلم وتمظ ولا تمنظ
 (١٠) يا ذا الذي خط المذار بجدو خطين هاجا لومة وبلابلا
 ما كنت اقطع ان لحظك صارم حتى رأيت من المذار حائلنا انتهى
 والكتاب كله على هذا النسق من البسط والابانة وقد طبع في القواعد بحرف كبير والشروح والامثلة والتارين بحرف اصغر منه وضبط كل ذلك بالشكل حتى لا يخفى شيء على الطالب نصار في المدرسة الكلية الآن ثلاثة كتب على هذا النسق كتاب طيب العرف في فن الصرف لعبد بك شقير وداود اندي افيثوس وهذا الكتاب والخواطر الحسان في المعاني والبيان وهو للاستاذ خموط ايضا

بمجموعة لجنة حفظ الآثار العربية

هي المجموعة السابعة عشرة من سنة ١٩٠٠ ومن فوائدها الكثيرة وصف مدفن شجرة الدر زوجة السلطان نجم الدين الايوبي فانها اخفت وفاة زوجها سنة ١٢٤٨ لما كانت رحي الحرب دائرة بين المصريين والصليبيين ما بين ديباط والمنصورة الى ان حضر ابنه الملك المعظم توران شاه من الشام لكنه قتل بعد عيبه فاقترع رجال الدولة على تليتها وهي اول ملكة في الاسلام ولكن حكمها لم يطل لان الخليفة المستنصر بالله لم يقلدها الملك فتنازلت لعز الدين ابيك وتزوجت به وبقيت السلطة في يدها وكانت الامرة الناهية . و اراد عز الدين ان يتخلص منها فخلصت منه وقتله خصيانها سنة ١٢٥٧ فاغناظ منها امراء المملكة وملكوا نور الدين علي بن ابيك من احدى حظاياها فقبض عليها وسلمها لامير وهي سلمتها لجواريا فجعلن يضربنها بالقباييب حتى ماتت وطرحت جثتها في خندق القلعة فاكل الكلاب نصفها ثم دفن النصف الباقي بقرب مشهد السيدة نفيسة على ما قاله ابن اياس

ولم يزل مدفنها هناك وهو يحنوي على قاعة مربعة تعلوها قبة قالها من اقدم التوابل المعروفة عصر ودخل القاعة حذايا مجوفة او صنف تشيل على اشكال حلزونية متداخلة في حروف الكتابة وفي صفة المحراب فيفساه من قطع صغيرة وزجاج احمر وازرق مذهب وهي الفيضاء البنظية الحقيقية فهي من القرن ما يوجد من نوعها في القطر المصري ولا تشيل لها الا في جامع ابن طولون والمدرسة الطيرسية والمدرسة الاتباعية في الجامع الازهر وبعد شرح طويل لما في هذه القاعة استنتج كاتب هذا الشرح ان شجرة الدر بنت هذا المدفن لنفسها سنة ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ للميلاد) وتولت به التخريب والتدمير بنفسها لها وانتقاما منها ثم قام من اراد احياها ذكرها فاصح فيه وكتب كتابات اخرى وفي المجموعة ثلاثة رسوم لمدفن شجرة الدر ورسوم اخرى لغير ذلك من الآثار وهي غاية في الافئاد

سياحة في مصر

Journal for an Egyptian Tour by Col. S.B. Bevington V.D., J.P.,

اننا في الشتاء الماضي بلقاء الكولونل بيفنجتون وكان قد جاء الى القطر المصري سائحاً ولم يحظر لنا انه من ارباب الاقلام حتى احدى الينا هذا الكتاب وقد جعله رسائل اثبت فيها ما رآه في هذا النظر وما استنتج من نجاحه وذلك بعبارة سلسلة متسلسلة

كتاب التمرين

على التبيان والتبيين

هو فصول منتقاة من كتب الادب العربية او منسوجة على منوالها وكلها من بدائع الانشاء ولطائفه مثال ذلك فصل عن الارنب نيل فيه

الارنب واحدة الأرناب وهو حيوان يشبه العناق تصير اليدين طويل الرجلين عكس الزرافة يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم جنس يطأ على الذكر والانثى وانما يميز باسم الاشارة للعقاب يقال للذكر هذا الأرنب والانثى هذه الأرنب ومن امثالهم المشهورة المتعلقة بالأرنب قولهم: "في بيتي يؤث الحكم" وهو مما زعمته العرب على السنة البيهائم

قالوا إن الأرنب التقطت ثمرة فاخلسها الثعلب فأكلها — فانطلقا يختصمان الى الضب —

فقال الأرنب يا ابا حبل قال سمعاً دعوت

قالت اتيناك لننضم اليك قال عادلاً — كما

قالت فاخرج الينا قال في بيتي يؤث الحكم

قالت وفي وجدت ثمرة قال حلوة نكليها

قالت فاخلسها الثعلب قال لنسب بن الخبير

قالت فلطمته قال بمحك أخذت

قالت فزمني قال حر انتصر لنفسه

قالت فأقض بيننا قال قد قضيت

والكتاب كله على هذا النسق وقد عني بجمعه العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري وجعل ثمة غرثاً ونصفاً لا غير تسميلاً لانتائيه

تدريب اللسان

على تجويد البيان

لقد احسن حضرة العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري في تأليفه هذه المختصرات القربية المأخذ لتلاميذ المدارس كما احسن حضرة الفاضل احمد افندي حسن طبارة في طبعها ونشرها وقطعه لها ثمناً رخيصاً جداً . وقد جمع هذا الكتاب زبدة ما في صحيف المتقدمين عن تجويد القراءة والبيان ورجع في تخارج الحروف الى ما قاله المتقدمون واقصر عليه وقال " ان اللازم

على من اراد ان ينطق بحرف على وجهه ان يتلقاه عن اهل هذا الفن فانه لم تجنيد فرقة في
 فهم مثل اجتهادهم ولا اتصل اسناد فرقة في امر مثل اتصال اسنادهم وقد صرح سيويه في
 كتابه بان الحروف لا تبين الا بالمشاهدة فلا يتيسر النطق بحرف بمجرد البيان والوصف وهذا
 ظاهر للعيان عند اهل كل لسان. الا ان ابناء هذا العصر اتصلوا الى وصف مخارج الحروف
 وصفاً تشريحيًا مع تصوير اجزاء الحلق التي تستخدم في نطقها. والظاهر ان المؤلف بحسب لفظ الجيم
 كان اصلاً كما يلفظه المصريون لا كما يلفظه السوريون فقد قال انها "من الحروف الشديدة التي
 تنصر اصواتها في مخارجها انحصاراً تاماً فلا تجري جرياناً سهلاً كما في اللج فانك اذا وقفت عليها
 تجد صوتها محصوراً حتى لو رميت مدّ صوتك لم يمكنك والحروف الشديدة ثمانية يجتمعها قولك
 (اجد قط بكت)" ووضح ان الجيم كما يلفظها السوريون رخوة مثل الثين او بين بين مثل
 الراء فبذا لو اسند المؤلف ما قاله عنها فيكون ذلك فضل الخطاب في مسألة طال الخلاف فيها

الباية

كتب الينا الحاج حسين قلي جديد من بغداد يقول "كنت يوماً عند السيد شكري افندي
 الموسوي زاده فتذاكرنا في احوال الملل والاديان حتى انتهي حديثنا الى فرقة الباية فقال ان
 جريدة المقتطف قد ذكرت فصلاً من فضائلهم واتى بمجلة من مجلاتها وقرأ عليّ فيميت من
 كاتب تلك السطور كيف غشّ صفحات المقتطف المقدّمة باكاذيب مموهة وابطال مشوّهة .
 والفقيه الى الله كنت من اهل افتقار وحقت امور الباية وحجمت كتبها ورسائلها ثم كتبت
 كتاباً اسمه منهاج الطالبين فارسياً وعربياً فطلب اليّ مولانا شكري افندي ان ارسل نسخة
 منه الى خضرتكم لتطلعوا عليه وتصلحوا ما تشرفوه عن الباية خطأ"

هذا وقد وصلنا الكتاب وفيه فصول كثيرة عربية يقول انها منقولة عن كتب الباية
 حرفاً حرفاً فان كان النقل صحيحاً فهي من اغرب ما قرأناه مثال ذلك "بسم الله الابي
 الابي بالله الله البهي البهي الله لا اله الا هو الابي الابي الله لا اله الا هو البهي البهي
 الله لا اله الا هو المبتعى المبتعى الله لا اله الا هو المبعي المبعي قل الله ابى فوق
 كل ذي بهاء من يقدر ان يمتنع عن بها بيانوه من احد لا في السموات ولا في الارض ولا ما
 بينهما انه كان بهاء باهياً بهياً قل الله ابى فوق كل ذي ابيه لن يقدر ان يمتنع عن بهي بيان
 ابتهاؤه من احد" وهلمّ جراً. ومثاله في صنعة الاكبر "قل ولتكن ما يقولون الاعجمون
 في اسمه عدد الديان فان هذا مما اتم به الدمب تشهدون قل له ورق قدر ذلك اخاتم بل اصغر

عليه حيوان صفر ممر وان ذلك الحيوان اكبر لا يخلق من ذلك الورق في الجبال انتم تشبهون
والمقتضيات كثيرة وكما على هذا النسق والعجب العجيب في انها منقولة عن كتب قوم رأينا
ينهم اناساً اذ كياء العقول واسعي الاطلاع ماعرين في اساليب المعاملات

باب المنتظف

معنا هذا الباب منذ اول انشاء المتنظف ووجدنا ان يجب ليو سائل المتفكرين التي لا تخرج عن دائره
بحث المتنظف - وبشرط على السائل (١) ان يضي مسأله باسمه والقاب ويحل اقامته امضاه واصحاً (٢) اذا لم
يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تتزوج مكان اسمه (٣) اذا لم نترج
السؤال سد شهرين من ارساله اليانا فليذكر مسأله فان لم نترجه بعد شهر آخر نكون قد املناهُ لسبب كافٍ

(١) وجود الثلاثه

مصر . ج . ١٠ . نرى ان اغلب الفلاسفة
رجعوا بعد الجحود الى الاعتراف بوجود
الخالق عز وجل فهل هم ساقون الى ذلك
بمامل المداراة او باعقاد حقيقي ثابت استنوه
قبل ان جاهاوا به وما هي اقوالهم في الاثبات
ج . اتنا لا نعرف فيلسوفاً كان جاهداً
ثم اعترف بوجود الله حتى نجيبكم عما طلبتم
نكن من الفلاسفة من قال مثل هربرت سبنسر
ان العقل البشري لا يدرك وجود الله ومات على
هذا القول - ومنهم من قال مثل هكسلي انه لم
يجد دليلاً يقتضيه بوجود الله او يقتضيه بعدم
وجوده ومات على هذا القول . والرجلان
كانا مثالا في الاستقامة وهما اكثر الفلاسفة
نظراً في الجحود وما منهما من انكر
وجود الله وغاية ما انكراه الدعوى بانهما

يدركان وجوده ويعرفان شكله وصفاته وما
يقوله في قلبه وما ينويه للناس في الدنيا
والآخرة من خير وشر

(٢) دوران الارض والاهر

ومنهُ . علم ان دوران الارض على محورها
سبب لاعتداء نهر النيل على فنته الشرقية
وهذا لكونه آتياً من الجنوب الى الشمال فما
تولكم في الانهر التي تجري من الشرق الى
الغرب ومن الغرب الى الشرق وما حالتها مع
دوران الارض

ج . اذا كان جريها من الشرق الى الغرب
توراً او من الغرب الى الشرق فلا يؤثر فيها
دوران الارض اقل تأثير لان ماءها يجري
في عرض واحد ولكنها اذا انحرفت شمالاً
او جنوباً أثر فيها دوران الارض بعض التأثير
على ما تقدم في الجزء الماضي

(٤) دين مصر

النيا . حنا افندي بطرس . في ايام من
من الخديويين بدأ الدين المصري وكم
المطلوب لكل دولة الآن

ج ابتدأ الدين المصري في عهد سعيد
باشا وبلغ نحو ثلاثة ملايين جنيه قبل وفاته
ثم زاد في ايام اسمعيل فبلغ ٩٤ مليون جنيه
وهو ليس لدولة من الدول بل سنداته شائعة
تباع في السوق لكل مثر ولكن للفرنسيين
والانكليز الجانب الاكبر منها ولا سيما لبيت
روشيلد الفرنسي والانكليزي ويتلوه
الروسيون فان لهم جانباً كبيراً ايضاً

(٥) هل العمر محدود

كندا . الخواجه جرجس حنا جرجور
الماريني هل عمر الانسان محدود او غير محدود
ج هو محدود بمعنى انه متعول للفواعل
التي تعمل به وهذه الفواعل جارية على سنين
ثابتة لا تتغير . وغير محدود بمعنى انه لا يبقى
على حالة واحدة بل يزيد متوسطه بزيادة
الاعتناء بالصحة ومعالجة الامراض . فالذين
لا يمتنون بصحتهم ولا يعالجون امراضهم
متوسط عمرهم عشرون سنة او اقل فلا تزيد
مواليدهم على وفياتهم ولذلك لا يزيد عددهم
بل يبقى على حال واحدة عاماً بعد عام وقرناً
بعد قرن او يقل عددهم بزيادة الوفيات على
المواليد كما حدث في القطر المصري منذ مئات

من السنين الى نحو اربعين سنة مضت .
والذين يمتنون بصحتهم ويعالجون امراضهم
تقل وفياتهم وتزيد مواليدهم عليها فيتمون
ويكثرون كما كثر الانكليز والالمان وكما كثر
المصريون حتى كادوا يتضاعفون منذ خمس
وعشرين سنة الى الآن

(٥) المعيشة وطول العمر

دمشق . السيدة سوره دمر . هل للمعيشة
في حالة الحضارة تأثير في طول العمر او قصره
اكثر من المعيشة البسيطة الخالية من الاهتمام
بالمأكل والمشرب والملبس والاجتماعات
وما شاكل

ج لا شبهة في ان الاهتمام الشديد
بضرب الصحة فيقتصر العمر ولكن الذين يهتمون
بالمأكل والمشرب والملابس يهتمون ايضاً
بمدفع العوارض ومعالجة الامراض فينجو
كثيرون منهم ويزيد متوسط عمر الجماعة منهم
ولو لم يزد عمر الافراد مثال ذلك بلادنا
البلد الواحدة جرت على اساليب الحضارة
الحديثة فاذا دخلها الهواء الاصفر قابلته بعزل
كل المصابين عن الاصحاء والاعتصار على
شرب الماء التي فلا يفتك بنفر قليل من
اهاليها واذا دخلها الجدري وجد كل اهاليها
متقاعين فلا يفتك باحد منهم واذا جاء
الذئب بجره وجد اطفالها يرضعون اللبن
التي فلا يصابون بامهال الاطفال ولا يموت

ج يتأخر بعض الاولاد في النطق بسبب عدم نمو مركز النطق في الدماغ او بسبب آفة عرضت له، وهم صغار فاذا كان الاول فلا يبعد ان يتم نمو مركز النطق رويداً رويداً فيتمكنون من النطق بعد ذلك وان كان الثاني فالامل بشفايتهم قليل وليس لذلك دواء غير المقررات العمومية للصحة

(٧) خسارة الراديوم

حلوان . ي . ب قرأنا في المقتطف ان عنصر الراديوم يشع نوراً وحرارة وينبثق منه دقائق صغيرة جداً على السوام وقد قال مكتشفه انه لا ينقص في عشرة ملايين من السنين سوى جزء من الف من وزنه . اما اشعاع النور والحرارة بلا نقصان في وزنه فامر يعلم به العقل مع غرابته المتناهية واما تطاير الدقائق منه سيما صغر حجمها مع بقاء وزنه على حالة واحدة تقريباً فمسألة فيها نظر فافيدونا عن حقيقة الامر

ح نرحب ان الباحثين في طبائع هذا العنصر وجدوا الآن ان وزنه يقل اكثر مما ظنوا اولاً اذ ثبت لهم او كاد يثبت ان الدقائق التي تصدر منه هي عنصر آخر اسمه الهالسيوم ومع ذلك يبقى نقصانه قليلاً جداً لان الدقائق اذا كانت الكتلونات فكل الف مليون مليون مليون الكتلونات منها لا تزن غراماً واحداً فاذا فرضنا انه يخرج

احد منهم واذا اشتد البرد وجد ملابس اطفالنا كلهم دائمة فلا يصاب احد منهم بذات الرئة ولا بداء الجنب فنقل الوفيات في تلك البلاد وبلغ متوسط العمر فيها اربعين سنة او خمسين ولكن الذين يبلغون الثمانين او التسعين من اهلها قد لا يزيدون على واحد في المئة والبلاد الثانية باقية على حال البداوة فاذا دخلها الهواء الاصفر فتك باهلها فتكاً ذريعاً واذا دخلها الجدرية لم يجد احداً متطعماً فينتك بالبعض ويشوره البعض الآخر واذا اشتد الحرفس اللين الذي يشربه اطفالها فاصيبوا بالاسهال ومات كثير منهم واذا اشتد البرد احاب كثيرين من اهلها بالامراض الناتجة من شدة البرد فيكون متوسط العمر فيها عشرين سنة او اقل ولكن الذين ينجون من هذه الآفات اما لاعنائهم الخاص بصحتهم او لمناحة قريبة في اجسامهم او لانه اتفق ان الآفات لم تعرض لهم يمرون طويلاً ثمانين او تسعين او اكثر وقد يكون عدد هؤلاء اكثر من واحد او اثنين في المئة

(٦) الحرس

النبيوم . يعقوب اندي خليل رأيت بنتاً عمرها اربع سنوات تفهم ما تكلمها به فاذا قلت لها استيني ذهبت واحضرت لك الكوبة ولكنها لا تنطق بكلمة فما هو داؤها وهل يرجد له دواء

منه الف الكترون كل ثانية من الزمان
فيخرج منه في السنة نحو مليوني مليون
الكترون وفي عشرة ملايين سنة نحو ٢٠ مليون
مليون مليون وهي تزن جزءاً من خمسين مليون
جزء من الغرام . فاذا كان وزن الجواهر التي
تصدر منه مثل وزن جواهر الهيدروجين
فيصدر منه في عشرة ملايين سنة ما يزن
جزءاً من خمسين مليون جزء من الغرام

منه الف الكترون كل ثانية من الزمان
فيخرج منه في السنة نحو مليوني مليون
الكترون وفي عشرة ملايين سنة نحو ٢٠ مليون
مليون مليون وهي تزن جزءاً من خمسين مليون
جزء من الغرام . فاذا كان وزن الجواهر التي
تصدر منه مثل وزن جواهر الهيدروجين
فيصدر منه في عشرة ملايين سنة ما يزن
جزءاً من خمسين مليون جزء من الغرام

(١٠) التنبيه في التمثيل

مصر - جرجس افندي بشارة - شرط
التمثيل الصحيح أن يلقي الممثل العبارة نطقاً
واشارة حسب وضعها الطبيعي بدون تكلف
ولكننا نرى ان اشهر الروايات التمثيلية الاوروبية
شمري ويمثل غناء وهذا مخالف للوضع الطبيعي
وكذلك نجد في الروايات العربية اشعاراً
واظاني في غير وضعها ولا تدعو الجمال اليها
فلماذا هذا الخروج عن الوضع الطبيعي

ج لقد ألف الناس الغناء والكلام
الموزون من اول عيدهم وهو ذوق تشاركهم
فيه الشجارات كما ترون في تفريد انطون
والاصوات الرخيمة الموقعة توفيقاً موسيقياً تؤثر
في اعصاب السمع تأثيراً خاصاً تليد به النفس
حتى الهمه لان دقائق الاعصاب التي تتأثر به
تتركب على اسلوب موافق له فلا تعود تنفر
منه فاذا سمعت غناء حيث تنتظر ان تسمع
كلاماً غير موقّع فانك تنفر منه في اول الامر
لانك لم تألف ذلك فتقوم دقائق مراكز
السمع ما لم تألفه ولكنك اذا سمعته مرة بعد
مرة بعد اخرى في مثل ذلك الموضع ترتبت

(٨) علاج السرطان

اسيرط . قرأت افندي حكيمان قرأت
في الجزء الثاني عشر من المنتطف في باب
الاخبار العلية ان الدكتور اتوشتمت الالماني
اكتشف دواء للسرطان فارجو ان تكروما
علي بعنوان الدكتور المشار اليه يلبب الدواء منه
ج لا نعلم ما هو عنوانه ولكن يظهر
ان دعواه غير صحيحة لان الباحثين عن
علاج السرطان لم يقولوا بصحتها ولا يعنون
دواء حتى الان للسرطان غير الاستعمال

(٩) الختان الطبيعي

طنطا . احمد افندي رضوان . لي اخ
عمره نحو اثني عشرة سنة كان من غير طهارة
(ختان) وبينما كنا نستعد تجهيز ما يلزم
لظنا في يوم ذات ليلة واصبح مخنوناً فما سبب ذلك
ج نرجح ان الغلاف كان قصيراً منذ
ولادته ولم تنتهبوا لذلك الا حينما اردتم

المنشط انسدل الشعر وزوال الاشتباك منه
 فيصير المنشط يجري فيبد بسهولة فلا تعود
 تنألم واخيراً تصير شعريشي من اللذة وانت
 تشطه . فاليل الى الشعر والفتاء طيبي في
 النفس ومنه لذة واذا كان الشعر والفتاء في
 غير محلها اقرت منها النفس اولاً ثم تألفها
 بالكرار فيزول النور ويبدل باللذة

الدقائق في اعصاب سمك على اسلوب يوافر
 ما تسمه من الفتاء فيزول النور اولاً ثم تصير
 شعر بلذة . ويمكن ايضاح ذلك بهذا المثل
 افرض ان شعرك طويل جداً وشبك
 بعضه ببعض فاذا اردت مشطه فان المنشط
 يقطع بعضه ويتعلق البعض الآخر في اول
 الامر فتألم من ذلك ولكنك اذا كررت

الأخبار العلمية

ومجوع قيمة التجارة الخارجية من صادر ووارد
 نحو ٣٦ مليون جنيه مصري اي أكثر من
 تجارة الممالك العثمانية كلها اطارجية وأكثر مما
 بلغت في اية سنة من السنين الماضية
 التيفويد والاصداف البحرية

تكررت الشواهد الدالة على ان الذين
 يأكلون حيوانات الاصداف والابواق
 البحرية يعانون احياناً كثيرة بالحمى التيفويدية
 وقد ثبت الآن بالبحث الميكروسكوبي في ابدان
 هذه الحيوانات انها تكون احياناً ملأى
 بالمبرزات المنصبة في الجدار من تجاري المدن
 المتصلة بها ويكون ميكروب التيفويد كثيراً
 فيها . والغالب ان الناس يأكلون هذه
 الحيوانات من غير ان يسلطوها سلفاً كافي لان
 السلق الكافي ينسد طمها بل يضعونها في ماء

الظواهر الفلكية في فبراير

البدر	يوم	ساعة	دقيقة
٠١	٠٦	٣٣	
٠٨	١١	٥٦	
١٦	٠١	٠٥	
٢٤	٠١	٠٩	

يكون عطارد والزهرة نجمي الصباح
 الشمر كله
 ويظهر المريخ والمشتري في المساء الاول
 ساعة ونصفاً والثاني ساعتين

تجارة القطن المصري

بلغت قيمة الصادرات من القطن المصري
 سنة ١٩٠٣ حسب تخمين الجمارك المصرية
 لما ٤٨٧ ١٩١١٨ ١٩١١٨ جنياً مصرياً وقيمة
 الازدادت الى القطن المصري ١٩٠ ١٦٧٥٣

والجوائز التي نقل قيمة الجائزة منها عن
٥٠٠ جنيه كثيرة جداً وطى هذا النسق
بعضد العلم والعلماء

الهيدرويون

استبسط الدكتور فون لورنز النموسي وعاءه
سماه الهيدرويون ينقل السمك به حياً من
مكان الى آخر وهو حوض يوضع فيه الماء
والسمك وفي الحوض وعاء فيه أكسجين متفقط
وله ثقب يخرج منه رويداً رويداً الى الماء
فيبقى الماء حالماً لميشة السمك فيه ولو كان
قليلاً لان السمك يتناول الاكسجين من
الماء كما تتناوله من الهواء فاذا لم يجد الماء له
اولم يدخل اليه اكسجين بدل ما تناوله
السمك منه مات السمك اختناقاً كما يموت
الحيوان في الهواء اذا قل الأكسجين منه

غنى الإنكايز

حسب انه اذا قسم مال الامة
الانكايزية على افرادها بالسوية اصاب
الفرد الواحد نحو ٣٠٠ جنيه وان متوسط
دخل الفرد منهم ٣٣ جنيهاً في السنة ومتوسط
ما يورثه الفرد ٣ جنيهات في السنة وان في
السلطنة الانكايزية نحو مئة شخص يملك
الواحد منهم مليون جنيه فما فوق و ٤٠٠
شخص يملك الواحد بين نصف مليون جنيه
ومليون جنيه. ونحو الف شخص يملك الواحد
بين ربع مليون جنيه ونصف مليون ونحو

سخر دقائق قليلة حتى تنتج الاصداق
ويسهل اخراج الحيوان منها فيبقى ميكروب
التيفويد حياً فيه يصيب من يأكله بالحي
التيفويدية. وقد بين الدكتور كين
البكتيريولوجي الشهير انه اذا سلقت الاصداق
بالبخار مدة خمس دقائق فقط مات ميكروب
التيفويد منها ولم يفسد طعمها فيني سلقها
بالبخار بالغائبين ممّا.

جوائز كارنجي العلمية

وزعت جوائز كارنجي العلمية على المشتغلين
بالعلم فبلغ مجموع ما وزع منها في العام الماضي
اربعين الف جنيه ومن الذين نالوا هذه
الجوائز الاستاذ بوس التللي وقد نال الف
جنيه والاساتذة بوس وهابل وكبل الف جنيه
ونالوا ثمانية جنيه اجرة مساعد في مرصد لك
والدكتور روبرت فلشر التي جنيه لطبع
فهرست كتب الطب والمستربتم الف جنيه
لطبع كتاب عن الجمعيات العلمية والمستر
كنراد ١٦٠٠ جنيه لدرس نباتات الصحراء
والمستربوزد ولدو ٩٠٠ لدرس برز الاليونوم
والمستربيلي ١٣٠٠ جنيه ليقيم في البلاد الواقعة
عبر بحر قزوين والاستاذ شميرلين ١٢٠٠
جنيه لدرسه مبادئ الجيولوجيا الاساسية
والاستاذ اتوتر الف جنيه لامتحاناته في
التغذية. والدكتور غامبي ٢٠٠ جنيه لتقريره
في فيولوجية التغذية

خمسة آلاف شخص يملك الفرد منهم بين مئة الف جنيه و ٢٥٠ الفاً . وقال احد الاغنياء ان كل شاب عمره عشرون سنة ويحصل جنيهاً واحداً في الاسبوع ويوفر منه فقد يصير صاحب ثروة قدرها مئة الف جنيه حينما يبلغ السبعين من عمره .

حصان طويل العرق

رأينا في السينتك اميركان صورة فرس طول شعر عرقها ثمان عشرة قدماً او نحو خمسة امتار ونصف متراً اشتراها مالكها منذ سبع سنوات وكان عمرها ثلاثاً ولم يكن شعر عرقها اطول مما يكون عادة وبعد سنة اخذ يطول بسرعة فوضع في شبكة حنظ فيها من التلث نافع هذا الحد العجيب من الطول . ولما بهر يظن انه سينوقها في طول عرقه

وصية سنسر

اوصى سنسر ان تباع ممتلكاته وكتبه وحقوق طبعها ويقسم المال الناتج من ذلك بين الجمعيات العلمية الانكليزية وهي الجيولوجية والجغرافية والنباتية والانثروبولوجية والزولوجية والانثومولوجية والفلكية والرياضية والطبيعية والكياوية وتجمع ترقية العلوم البريطاني والمدرسة الملكية . ويستخدم فيها لاتباع الكتب والادوات وتوسيع المباني وتصليحها ولكن لا يعطى شي منه هبة لاحد وادى ايضا انه اذا ارادت الحكومة

الانكليزية ان تدخل النظام العشري في الموازين والمقاييس والمكاييل الى بلادها كرهاً ان يُطبع الكراس الذي القُد في هذا الموضوع حسب نسخة تقنيا وتركها في صندوقه ويوزع على اعضاء مجلس الاعيان والنواب تجاناً . وقد ابتأ غير مرة انه يذهب الى عدم صلاحية النظام العشري ويفضل النظام الاثني عشري عليه لان الناس يفضلون ان تقسم مكاييلهم ومقاييسهم الى اناصاف واثلاث وارباع وهذا ممكن في الاثني عشر ولكن لا يمكن في العشرة فيكون النظام العشري عائقاً لهم .

تصورات الناس في القمر

اذا رأى الانسان شيئاً لم يتبينه جيداً تخيل له صورة من ذهنه مما اعتاد رؤيته . وعلى ذلك يرى كثيرون من الناس صورة وجه في القمر وقد كتب فلوطرخس المؤرخ اليوناني كتاباً عن صورة انسان قال انها ترى في القمر . وقال الصينيون ان ما يرى في القمر صورة حمار يظن اربزا . وقال المنود انه يشبه الارنب . وقال الفرس انه صورة معكوسة عما في الارض من البر والبحر كأنه مرآة انعكست عنها صورة الارض ويختلف الناس في تقدير القمر كما يرونه بيمونهم فيراه البعض بحجم الريال وهو اصغر تقدير له ويراه غيرهم بحجم عجل المركبة وهو اكبر تقدير . ويراه الاكثرون بحجم صحيفة

والسير في الهواء كأنها شراخ له ووضعه فيه ثلاث آلات بخارية تدار بالغاز ولبن قوة كل منها خمسون حصاناً

اشراق الواح التصوير

كتب بعضهم الى جريدة فانتشر بقول انه وضع لوحاً من الواح التصوير الشمسي المغشى بالبرويد في مذوب المظير يبروصودا عشر دقائق ثم رفعه منه وغسله واطناً المطباخ الاحمر نراى اللوح قد اشرق في الظلام وكذلك السائل الذي كان فيه ولكن اشراقهما لا يدوم الا دقيقة او دقيقتين

نفع الترامواي الكهربي

ادعى احد العلماء الايطاليين ان الشر الذي يتولد وقت سير الترامواي الكهربي يصلح هراء المدن لانه يحول جانباً من اكسجين الهواء الى اوزون والاوزون يطهر الهواء ويرزىل منه ميكروبات الامراض

استخراج الراديوم

لما ثبت ان الراديوم ينفذ كما تفيد اشعة رنتجن تماماً وان جزءاً من الف جزء من الفرام موضعاً في انبوب دقيق كريشة الاوزي ينجي عن آلة كبيرة من آلات رنتجن تألفت الشركات في المانيا وفرنسا لاستخراجها وقد زاد طلب الاطباء له حتى فاق ما يمكن ان يستخرج منه

ويظن البعض ان القدماء كانوا يعرفون

الطعام فالجمهور يحسب ان بعده عنهم نحو مئة قدم . وحجمه الحقيقي على ما يرى بالعين نحو نصف درجة ولذلك يُعجَب بقل الرصاص اذا وضع بينه وبين العين الراديوم في تراب لندن

كتب الاستاذ رامسي الى جريدة الدابلي مايل يقول ان القحوة من الراديوم تساوي الان ٨٠٠ جنيه والاقوية لو امكن الحصول عليها لتاوت ٧٥٠ الف جنيه وان في مدينة لندن معملاً كيمائياً يستخرج فيه عنصر الاورانيوم الذي يلون به الزجاج بلون اصفر ضارب الى الخضرة وترى الفضلات التي يستخرج الاورانيوم منها ولكن هذه الفضلات تحتوي على الراديوم فاذا امكن استخلاصها منها فقد يوجد فيها ما يساوي مليوناً من الجنيهات فاعترض عليه الخواجات ارثر وشركاه وقالوا انهم يبيعون ثلثيغرام من برويد الراديوم بجنيه وشلن فاذا كان عندهم اوقية منه باعواها بانل من ثلاثين الف جنيه

أكبر بالون

صنع الدكتور برتن الانكليزي بالوناً كبيراً جداً وهو أكبر بالون صنع حتى الآن طوله ١٧٦ قدماً وقطر ثخنه ٤٣ قدماً وبع ٢٣٥ الف قدم مكعبة من غاز الهيدروجين فيرتفع بقوة ١٦٤٥٠ رطلاً ويتصل به طيارات او مطوح طيارة تساعده على الطيران

ثروة ركفلر

أكثر ثروة ركفلر من زيت البترول
الاميركي المعروف باسم ستندر فان له رُحده
ثلاثة اخماس امهم شركائه وزادت قيمة هذه
الامهم ٣٠ مليون جنيه في شهر واحد فزادت
بها ثروة ركفلر ١٨ مليون جنيه . ويقال انه
اذا خط بقلمه كلمة واحدة زاد بها ثمن الجالون
من الزيت نصف غرش زادت ثروته ستة
ملايين من الجنيهات . وهو مع ذلك يعيش
عيشة من لا ثروة له فلا ينفق على طعامه
وشرايه ولباسه مئة جنيه في السنة وياتيه كل
يوم مكاتب كثيرة يهدده اضعافها بالقتل
والاغتيال . واذا دفع المبالغ العائلة للاعمال
الخطيرة تمكث عليه جرائد اميركا قائلة انه
يلب الالوف من اموال الثغراء ويعطيهم
العشرات بدلاً منها

ملوحة بحيرة لوط

بحيرة لوط اشد البحيرات ملوحة وقد غل
سبب ملوحتها بان الامطار تذيب الملح من
الارض المجاورة لها وتجري اليها ثم تبخر ويبقى
الملح فيها وبانها كانت اوسع مما هي الآن ثم
ارتفعت الالاد كلها بفعل جيولوجي فجف
أكثر الماء وكثر الملح في ما بين منه . وقد ذكر
العالم اكرويد لهذه الملوحة سبباً ثالثاً وهو
ان الرياح تمر على بحر الروم وتحصل منه جانباً
من الملح فيتمزج بماء المطر الذي يصل الى بحيرة

الراديروم او انهم اكتشفوا مكاناً يوجد فيه
فضعوا منه مصابيح تنير دوماً ومنها المصابيح
التي يقال انها كانت تنير في بعض الهياكل
والمصابيح التي استخدمها المصريون القدماء في
حفر مدافنهم ونقشها

طيارة ريط

صنع المستر ولبور ريط الاميركي آلة
طيارة وضع فيها آلة بخارية قوتها ١٦ حصاناً
وطار بها في السابع عشر من شهر ديسمبر الماضي
عن كتيب رمل ارتفاعه مائة قدم فطارت
اولاً قرب سطح الارض ثم ارتفعت في الجو
وسارت ضد ربح سرعتها عشرون ميلاً في
الساعة فكانت سرعة الطيارة فيها ثمانية اميال
في الساعة . ثم نزل بطيارته حيث اراد .
والمظنون ان نجاحه اول خطوة حقيقية في
سبيل ركوب الهواء

اثمن الاراضي

ان اراضي الاسميلية في القاهرة التي
كانت تعطى مجاناً في عهد اسمعيل باشا باع
الترمنها الآن بخمسة جنيهاً وياوي
أكثر من ذلك في بعض جهاتها ولكنه هما
غلا لا بعد غلاوه شيئاً في جنب ما يلفه
ثمن الارض في بعض المدن الاوربية
والاميركية فقد بيع المتر المربع في كليفورنيا
باميركا باربعة وستين الف جنيه وثمان المتر
المربع في قلب مدينة لندن ١٢٠٠ جنيه

واكبر اللآلىء المعروفة لؤلؤة هوب وهي في شكل كثرة طولها نحو ستة سنتيمترات وثقلها ١٨٠٠ قمحة

وقد شاهدنا في معرض باريس نوع لآلىء منتظمة بعضها مع بعض في شكل صليب كذا وجدت في صدفتها وكل لؤلؤة منها كالحصاة الكبيرة وثمنها كلها عشرة آلاف جنيه وعند بعضهم لؤلؤة في شكل القلب تماماً ثقلها ٦٢٢ قمحة وثمنها ٥٦ الف جنيه . ومنذ عهد قريب يمت لؤلؤة من لآلىء لادي ددلي ثقلها ٢٠٦ قمحات بستة عشر الف جنيه . واذا استمرت المغالاة باللؤلؤة الكبرى على ما هي عليه الآن يارى الناس في شدة

الالكحول من المبرزات

استنبط احد الالمانيين طريقة لاستقطار الكحول (السيبرينو) من المبرزات وهو مثل الكحول المستقطر من العنب وغيره من الاتمار. فهل يعلم شاربو المسكرات ان عنصرها الكحول المعروف بماء الحياة قد يكون مستقطراً من اقدر الاشياء

اثر تل الشهاب

اكتشف الاستاذ سمث حجراً في تل الشهاب ببلاد حوران عليه كتابات مصرية من عهد الملك ستي الاول يستدل منها على ان بلاد حوران كانت في حوزة المصريين في عهد ذلك الملك

لوط وهذا يحدث في كل البلدان القريبة من البحار يمكن البحيرات التي فيها تكون متصلة بالبحر فيجري المياه منها اليه ولا يترآك الملح فيها واما بحيرة لوط فلان اتصال بينها وبين بحر الروم فيبقى الماء محصوراً فيها يتخمر ويبقى الملح الذي كان فيه . وقد حلل صخور الارض التي حول بحيرة لوط فلم يجد الملح فيها اكثر منه في غيرها وحلل ماء المطر فوجد الملح فيه اضعاف ما يمكن ان يذوب من ملح الصخور

الجرائد الانكليزية

ظهر بالاحصاء ان ثمانية وستين في المئة من جرائد الدنيا ينشر باللغة الانكليزية فلذلك كلز والاميركيين ثلثا الجرائد كلها ولبقية ام الارض الثلث

المغالاة باللآلىء

بلغ ثمن اللؤلؤ في هذه الايام مبلغاً لم يبلغه من قبل لقلته المستخرج من غاوصه وقد كان اللؤلؤ الكبير الحجم التام الاستدارة الكثير الاشراق غالياً في كل المصور فقد ذكروا ان اللؤلؤة التي اهداها يوليوس قيصر الى ام يروتس تساوي ٣٥ الف جنيه . وسنة ١٦٣٣ دفع شاه ايران ٦٤ الف جنيه ثمن لؤلؤة مستديرة قطرها نحو سنتيمرين ونصف . ويقال ان ام اللآلىء شكلاً ولعناً الآن لؤلؤة في متحف روسيا بمدينة موسكو ثقلها ٢٨ قمحة

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

سبتمبر وفلسفته	١٠٥
فئة المواليد واسماها	١١٠
اليابان ورومية سبتمبر لما	١١٣
سكان مصر الاقدمون (مصورة)	١١٦
فوائد في العوائد . لعياذ انندي عبد الله	١٢١
دفع وم . لسعيد انندي الشرتوني	١٢٧
نسخة شعر ملتن	١٣١
حكم واثال . للذكتور يوحنا ورتبات	١٣٢
أفة المعامل	١٣٧
فوز الاحداث	١٤٠
الامير بشير الشهابي (مصورة)	١٤٤
خزان اصوان وبحيرة مورس	١٥٠

باب المراسلة والمناظرة * اللغة العربية في المدرسة الكلية . رباعيات ابي العلاء . نور القمر والكوليرة	١٥٥
باب تدبير المنزل * رجاء مصر في شابها . قمرى المرضي . اشهر الخلالات	١٥٩
باب الزراعة * زراعة اثنان . ثمن النطن المصري . طاعون المراثي والعويض عنها	١٦٦
باب التقريظ والانتقاد * المحواضر العرب في الشعر والاحزاب . مجبونة مجتة حنظلاً نارا العربية سياحة في مصر . كتاب الثمرين . تدرب اللسان . البانية .	١٧٦
باب المسائل * مجرد الغلاصة . دوران الارض والامهر . دين مصر . هل العمر محدود المعيشة وطول العمر . الحرس . خسارة الراديريم . علاج السرطان . الحنان الطبيعي . الفناء في التنزل	١٨٢
باب الاخبار الطبية * وفيه ٢٢ بقية	١٨٦
رواية اليريس السري ملقعة بالمتقطف	

رواية البوليس السري

مقدمة المَعْرَب

قرأت هذه القصة في اللغة الانكليزية واسمها "Bella-Demonia" اي "الشيطانة
الظرفية" للكاتبة الشهيرة سلينا دولارو فاعجبني حسن اسلوبها وغرابة حوادثها وقد مثلت
وقائعها في بطرس برج وفيينا ولندن والبلقان وغيرها من مدن اوربا قبيل شوب الحرب الاخيرة
بين روسيا وتركيا والفرس من وضعها اظهار دهاء البوليس السري وقوة النيبيست في روسيا
على وجه فكاهي تاريخي يروق القارئ ويشوق المتطلع . وقد عرّبتها راجياً ان تكون خيرة
نلية لقراء المتطعم في اوقات الفراغ
اسعد داعر

الفصل الاول

جون فاين

— ولكن لا يخفى على جنابك ان الاجرة ثلاثة ريبالات
— اذهب عني سريعاً
— ولكن —

— ماذا ألا تزال تعوي دونك هذه الاجرة

ثم دوى الشارع بصراخ شديد أصعده سائق مركبة من جراء ضربة ابتدره بها على
وجهه رجل كان راكباً معه وقد نزل في رأس شارع نيوسكي
وكان هذا السائق من عامة الروس المدعويين فلاحين (موجك) وعليه جبة بالية من
الفرس فوق مستنداً الى جانب مركبته وقد لاح لعين الناظر فرق عظيم بينه وبين ضاربه
الذي كان منتصباً امام مصباح فبدأ على نوره قائماً في زي عسكري ومتردياً حلة ضافية من
جوخ فتمر يمشاها فرواً فاخر جميل ولا بساً قبة وقفازين من نسيج الحلة عينه ومخذيها حذاء
دلت بساطة صنعه ومئاته على انه من المصنوعات الانكليزية . وكان شعر رأسه الخفى تحت

فبعثه أسود اللون وكذا شعر شاربيو الايث انشن أسبل من طرفيد على انتظام تام يوارى تحته، فما كالحا بيسم عن منتهى الشراسة والقساوة

وقف هذا الرجل ينظر الى ذلك السائق المتألم ويده الواحدة مرسلة على ثغره والاخرى قابضة خيزرانة لا تنفك منه بقوة الضربة التي نابت هذا الفلاح المسكين

اما ضرب الركب للسائق فلم يكن امرا ذا بال ولا شيئا يستحق الملاحظة ولا سيما في وقت حدوث هذه الحادثة . وكافي بركود المواد في ذلك الزهري القارس يردد شكوى ذلك المصروب البائس ويرجع صدى مرارة صراخه . على انه اتفق لذلك الصوت ان بلغ مسمع رجل كان قائما في بواية على ذلك الشارع فخرج على الاثر وخف الى حيث كان السائق واقفا يتظلم من ضاربه الجائر العاتي وخاطبه بالمان لا امر الناهي :-

— ما شأنك ايها الرجل هلم اخبرني . فالناس لا يجلدون عبثا في شوارع بطرس برج . فلما سمع الضارب كلامه عيس في وجهه راسخ عنه متعضا من فضوله . فتأثر السائل من استيائه لكنه ما لبث ان حياه التحية العسكرية وخاطبه بلحن شف عن مزيد تعجب واستغرابه :
— من ارى ؟ جوسبودارفاين ؟ اارانا في غابة المحافظة على الوقت حتى اتنا لم نختلف شيئا من الميعاد

اما السائق فبعد ما حلق في وجهه هذا التكلم وثب باسرع من وميض البرق الى مقعده في المركبة واسر الى نفسه بصوت متقطع :-

— ديمتري كيراتيف اريس البرليس السري يا قديرة كاترينا ! الحرب الحرب !
وقبلا تمكن ذلك الرجلان من النظر اليه كان قد عمل السرط في ظهر جواده وقام يمين في الركض وينهب بالمركبة الارض وفي اقل من بضع ثوان تواري عن العيان . فقال فاين نـ
— نعم ان ما اسعى في المصول عليه امر خطير يتطلب مني افتداء الوقت والحضور في الميعاد ومنك اسرعا مع تأهب واستعداد . ولست في حاجة الى الاهتمام بهذا السائق فقد مضى وقضى الامر بعدما تعلمت درسا منيدا لا ينساه ابد الدهر . حاول الخيث ان يأخذ الاجرة مضاعفة وقد خفيت عليه معرفتي فاخطأ سببه الغرض . وعرض منها احسن عرض
قال هذا واوجل في ضحك ناشف فصل شفتيه احدهما عن الاخرى واسر عن فكبين علقت بهما اسنان دقيقة شحودة على من القسوة . ثم سأله كيراتيف :-

— وهل جئت بانك كتاب ؟

— نعم هذا هو

واخرج من قطره قرطاساً مطويًا وقال :-

-- حينما هذا فهو فرق ما نطلب . انه كتاب من الكس دورمكي زعيم النييلست الى البرنس لاديسلاز غالتزن ومنه يتضح لك ماها عليه هذان الرجلان من التحالف الوثيق السرى والصداقة الموطدة الأركان

فاجابه رئيس البوليس :-

-- نعم هذا أكثر من حاجتنا ثم اشعل مدباجاً اخرجه من جيبه واخذ يطالع الكتاب على نوره بمزيد الامعان . ولما فرغ من تلاوته اطلقاً المدباج وطوى الكتاب ووضعه في قطره وقال لفانين :-

-- كيف سمح البرنس لاديسلاز بفتح هذا الكتاب في ايدينا ؟

-- استودعه شقيقته البرنيس كاريتا غالتزن ومنها ثيباً لي الحصول عليه

فرمى رئيس البوليس بنظره الحاد السريع وجه فانين الذي ابدى التجاهل التام من مراده ورماه بنظرة مثلها ثم سألته بلهجة دلت على ارتياؤه :-

-- متى نرم ان يقبض عليه ؟

-- على الفور على الفور . ينبغي ان لا تمر ساعة واحدة حتى يكون مودعاً قلمة مار

بطرس وبولس :

-- افي سرعة كهذه ؟

-- نعم كي لا يعود يتكلم من تمثيل " دور " آخر مثل الذي بعثه الطيش والوعونة على

تمثيله هذا المساء في النادي

-- ولكن يجب ان لا يخرج البتة من القلمة وينبغي ان لا يحاكم هناك

فاجابه رئيس البوليس باسمًا :-

-- لا تخف . فانه فلما يحاكم المسجونون الذين يزجون في غيابة قلمة القديسين بطرس

وبولس حيث رقت الرطوبة قباها . وضربت العفونة اظنابها . ورسخت اقدام الهواه الفاسد رسوخ النقص في الحجر . وخيم الموت بظلاله فلم يغادر لعين حياة المسجونين من اثر . ولست محتاجاً ان اذكرك نعمة جسم البرنس وعدم استطاعته الحياة في ذلك المكان المقطعة عنه منافذ الحياة . واظنك لا تبخل علينا بالمساعدة عندهما تخضره الوفاة . لان الاحتفال بدفن

سجين كهذا مما يرتاح كل غريب مثلك اليه . ويود التفرج عليه

فسأله فانين متظاهراً بعدم الانتباه الى كلامه السابق :-

وحل انت واثق من امكان القبض عليه في احوال ؟

فاجاب عليه جوابه المتقدم :-

— لا تمر ساعة حتى يكون سودعا القلعة بحرص

— اين هو الان فقد خرج من النادي مسرعا جدا

— عند امرأتى

— ماذا تقول

— عند امرأتى لانه قد تزوج منذ اكثر من سنة بسرية

— ما سمعت بهذا قط

— لم يسمع به احد غير ديمتري كيراتيف وشقيقة البرنس الاميرة كاريتا

— ما شاء الله

— واذا شئت تغيير فكرك فلذلك نصف ساعة من الوقت وهذا كاف للافتكار

— تغيير فكري ؟ لست بمبادل عن عزى الى الابد ولا شيء انزل من الانتقام فالنار

النار وقد سحت فرصته

وفيا هو عازم على الانطلاق قبض رئيس البوليس على ذراعى وخاطبته باهتمام قائلاً

اعلم ان انتقاماً كهذا سوف يكون هائلاً الى الغاية . وهذه الضربة لا بد انها تنتاب معاً

شقيقتى وقرينتى

— حسن في احسن

— ويرجح انها تقضي على هاتين المرأتين

فلم يجبه فابن بشيء بل عض على طرف سيكارو وقدم عود كبريت ليشملة بو فلما ادنى

النار من وجهه لاحت بنورها عيناه المتقدتان بشعلة الكروها معدتتان الى رئيس البوليس

وبعدما تبسم تبسماً ذهب بانتظام وجهه وشرح متن الشراسة التي انطوى عليها صدره رضى يعود

الكبريت الى الارض واعرض عن رفيقه بلا كلام منسلاً تحت اطباق الظلام . فقال كيراتيف

بنفسه وهو يشبع فابن بنظره :-

— ياله من شيطان ليطان على الله مهيا يكن من خشية فهو عضو ثمين في جسم

فرتنا الثالثة

ثم احاب بسائق مركبة كان يحظر بركبته امامه فرثب اليها وطلقت تجري به الى مركز رئيس

البوليس العام

الفصل الثاني

الزوجان

لا يمزج عن ذهن المطالع ان اجمل المساكن وابهى المنازل في بطرس برج هو كما في غيرها من امهات مدن العالم قائم على نهر . فكما تظهر قصور الوفرة على السين في باريس مقابل اخصاص شارع اللاتين — وكما تبدو ضروب مجلس النواب وقصر سمرست على التيمس في لندن تجاه آكواخ لوتشور هكذا تلوح قلعة الشتاء على نهر نيفا في بطرس برج مقابل منازل الفلاحين (الموجك) الحفيرة

ففي هذه المنازل الوضيعة تولدت النيبلستية وترعرعت وتفتت وعلينا ترسل الحكومة العيون والارصاد بواسطة البوليس السري وفيها يجد من يروم المواراة عن الانظار مخافاً لا يراها بين الغابات والادغال

فانما سرت في احد شوارعها الضيقة انتهى بك الى باب واطيه وفتح الى مدخل حرج يؤدي الى كوخ اشبه بزرية وهناك مهما اطلت القرع على بابو لا تسمع صوت نجيب ولا ترائس شيئاً من العلامات الدالة على كونه مأهولاً الا اذا مسسته بعضاً او حجر فانك في الحال تجاب من الداخل بكلمة تسرّ اليك فان كنت مطمئناً على كنه الاصطلاح الموضوع لمذه الغاية اجبت المتكلم بكلمة اخرى لا يلبث الباب عندها ان يفتح

ولا تطأ رجلاك داخله حتى تشعر تحت قدميك بالبرق المفروشة به الارض ثم تجناز المدخل الى غرفة مفروشة بجلود من سيبيريا وجدرانها مغطاة بتسوجات حريرية من اصفهان ومطرزات بن دمشق وباقي رياشها من اغر العاديات والاثار الهندية والصينية وابدع المصنوعات الاوربية بين مطرزة ومرصع ومرشعي مما يطول شرحه ويعز استيفاه

وفي تلك الغرفة امرأة جالسة على متكأ وعلى عجاها لوايح الانتظار . وهي البرنس نادين غالتزن التي كانت قبلاً آمة البرنس كارينا والآن أصبحت زوجة البرنس لاديلاز . ولا ريب في ان هذا الامير الروسي قد اتى ما يستوجب اللوم وسقوط الشان باقترانه اقتراناً غير شرعي بن هي دونه في الرتبة والمقام ولكن كل من ينظر الى زوجه متكئة على سريرها يجد آثار الرفعة على جبينها ودم الشكافة سارياً في عروقها ويرى انها اهل لان تقاسم البرنس غالتزن شرف لقبه ويجد أسرته

ويتناهي تنتظر قدوم زوجها بصبر ذاهب وجزع غالب طفت افكارها تجول في جو

الستين الفاريتين فحبل لها انها عادت الى نعيها الخالي وخفضة عيشها السابقة وصادت ايام الصفاء تفتت عن شعور بالمسرات بواسم . وجرؤ المناء مجلؤ برباح بالافراح نواسم والسعادة مخذقة بها جائلة اياماً كلها اعياداً ومواسم . ايام كانت قائمة بمخدمة الاميرة كاريتا وهي عندها كاشت شقيقة لا كلمة رقيقة

ثم لاح لعينها البرنس لاديسلاز راجعاً من المدرسة الكلية فتى غض الاهداب في ريعان الصبا وعشوان الشباب . واسترجعت لما ذآكرتها صوت استيقاظها لصوت جديد كان يناجها من نحوها ومثلت لعينها صورة تدرجها في الاقتناع بانة كان فمر زمان احلامها وقيلة وجدها وهيامها . واخطرت على قلبها ذكر اول وقت وقعت عينها على عينيهِ . وقاسمتهُ بالنظر شرح غرام بعجز البلية وصفهُ ولا يقوى الكلام عليه

وتذكرت حاجها بعد ذلك في عقد الخطبة من غير علم الي الامير لاديسلاز وما ألم بها من انكدر حين بلغها انه حان وقت انطلاق خطيبها لمباشرة خدمته في فرقة حرس القيصر وكيف انه اتفق قيس كهن القصر اذ ذلك بان يعتد قرانها سرا ثم هربا الي بطرس بروج حيث قضيا السنة الاولى بتجاذبين اطراف السرور والهناء واخذين باسلب الرغد والصفاء . ولعل ايمن يوم عندها من تلك السنة السعيدة كان يوم زارتها الاميرة كاريتا في تنجياها واعتنتها داعية اياها باحلى اسم - يا اختي . اما خفاء امر اقترانها فكان مهماً جداً لان الامير لاديسلاز غالترن الترع الوحيد لدوحة عريقة بالمجد والشرف طائفة الصيت بالوجاهة ورفعة الشأن في اطراف المملكة كان قد اتمهم في عهد طيشه وهو في المدرسة بالنزوع الى المبادئ الحرة وكان في عزم القيصر ان يزوجه ابنة اقدم بيوت حزب المحافظين في روسيا وهذا كان الباعث على وجردوه في الحرس القيصري واخفاء خبر اقترانهِ الذي لم يكن احدٌ عاوماً به سوى اختهِ وشخص آخر هو دميتري كيراتيف رئيس الفرقة الثالثة - (البوليس السري) - التي تجدها في روسيا الى اليوم هولاً على البلاد ورعباً في قلوب العباد . على ان دميتري كيراتيف كان مدبرناً بمجمل عظيم لبيت غالترن فكان شديد الحرص على هذا السر الخطير حتى حدث ما جعلهُ يمد كتمانهُ ذنباً لا ينترف . وجريمة ضد ولي نعمته القيصر

قلنا ان نادين كانت جالسة في احدى غرف تنجياها وهي قلقة لنياب روحها ورجحانها وموجسة خوفاً من ان تلم به مصيبة لم تكن في حسابها . فبينما هي في هذه الحالة سمعت وقع خطواته قادمًا في الدار وما لبث ان دخل قائلاً : -

— هانذا يا حبيبي نادين

ثم عطف عليها مطمئناً ببرد تقييده لما نارها واجسها وجالياً بركة حديثه صداً بلبالها فزال خوفها وسكن روعها وامنت شره متتالٍ يفاسي حبيها في غيابه عنها اذ رأتها جالاً بجانبها في راحة وامان لا خوف عليهما ولا هما يحزنان . فرغمت نظرها اليه وقالت :

— اراني في غنى عن وصف خوفي عليك فاعلم ان كل ساعة لا اراك فيها انقلب على بخامر الاضطراب خوفاً ان يوقعوا بك ولعلمهم يجدون في عصيانك اوامر القيصر سبباً كافياً للقبض عليك . فاحترس — آه رحماك احترس يا حبيبي والآن فاقبل شي في يصيبك يجرعني غصص الموت معك ان لم اقل قبلك

فاجابها: تشجعي يا حبيبي تشجعي اذ ليس ما يوجب الخذر ولا ارى من خوفٍ علينا ولا خطرماً داموا غير قادرين ان يقفوا لنا على اثر . ولست يبجامل شقاء حالك ان تمكنوا من الاطلاع على حقيقة امرنا وهتكوا حجاب مرثنا ولكن دعينا من هذا الحديث الذي لا يفيد واعلمي ان الله سيطرنا عما قليل زائرٌ جديد زائرٌ ؟

قالت هذا وقد انقدت عينها بنار الخوف والرجل

— نعم فلطالما سمعتني اذكر امامك الكس الكسندر وقتش

— مرادك الكس دورسكي النييلستي ؟

— نعم هو هو خدني الصني القديم ورفيق عيد المدرسة الوفي الحميم وهو انت هذه الليلة الى بطرس برج ولكن سرّاً حتى عن العنبة التي هو متدائها وزعجها

— آه يا لا دينلازما اقل دربتك ودرابتك !

— است في شيء مما تدعين لاني على يقين تام انني ليس في مجيئي اقل داعٍ الى الخوف والارتياب ومن السخيل ان يتتاب الكس دورسكي مكروه يروعتنا فكوني براحة بال من هذا التليل

وفيا هو يتكلم دخل خادمها الشيخ الموكولة اليه وحده حراسة الاميرة نادين وقال للامير:

— دوذا رجل طاعن في السن يعرف شعار الدخول ويروم ان يرى سموك

— الي بي

وبعد نحو دقيقة رفعت الستائر فاجتاز من ورائها الى الداخل شيخ يعمل على ظهره خرجاً وبعد دخوله وخروج الخادم قام منتصباً وخلق عنه اسمال التكر ونزع لحيته المارية ووقف امام الاميرين بهيئة جبار عتيد بفل عزمه الحديد

— الكس الكندروفتش ا
 — لاديلاز لاديلافتش !
 ثم تعانقا عنق اهل الاشواق وتساكيا ألم الثوى والفراق

الفصل الثالث

لقاء القبض

وبعد ما فرغا من مطارحة السلام التفت البرنس لاديلاز الى زوجته وقال لها وهو لا يزال آخذاً بيد صديقه : —

— هوذا يا بدين صديقي القديم الكس الكندروفتش دورسكي
 اما هي بعد ما تغلبت على روعها رفعت نظرها الى وجه الزائر وقالت : —
 — سمعت عنك كثيراً يا الكس الكندروفتش من قريبي لاديلاز فاهلاً بك خير
 قادم الى مخبأنا هذا
 فاجابها : —

— لا ريب في انك خفت ايتها الاميرة من زيارتي هذه ولكن صديقي ان خونك
 في غير محلهم ولست ما حيت بغافل امراً يعود على قربك بكمروهم ولاجل هذه الغاية تربني
 زرتكما هذه الليلة تنكراً
 — ارجوان يكون الامر كما ذكرت
 ثم سأله لاديلاز : —

كيف الاحوال

— على غاية ما يرام هنا وفي الخارج . فان لنا اصدقاء كثيرين في الدوائر العليا حتى في
 فوقة المجلس القيصري كما في كل من فرق البرليس الثلث . وبعد بضع سنين — ولعله بعد
 اشهر قليلة تصيح روسيا حرة مختارة . وما فعله لاجلنا اسكندر الثاني سوف يفعله ايضاً
 ويزيد عليه اصلاحات تمزق من عنق روسيا اغلال الاستعباد والاستبداد وتبليها غاية
 المشتبه ونهاية المراد . والأ —

وهنا انقطع عن الكلام انقطاعاً ادرك لاديلاز مناه لكن زوجته التفت اليه التفاتة
 الخوف فقال لها : —

لا تخافي يا عزيزتي فلت بمؤتمري ولا ساع بكيدة وما انا والكس سوى صديقين
جمين . لا تظني اني احد قوادري فوحي القذية كاترينا لت بمقدم على اقل شيء
يعرض حياتي للخطر . ولذا ترينني مائتا الجميع من عظمة القيصر الى اصغر الناس ولست بعد
في شيء من المبادئ النيهلستية بل قد اقلعت عن هذه الاميال وغادرتها في المدرسة الكلية .
واذا كانت تلك الجمعية السرية التي كنت قبلاً اجد اعضائها لا تنفك عاملة على تنفيذ مبادئها
فانا براه من تبعه ذلك كله

ثم ختم كلامه بقبحة وانكأ بجانب زوجته فقال دورسكي : —

— لا ريب في ذلك وهو حنبنا فلا حاجة الى الزيادة . وانظرا فقد جئكما بهدية
قال هذا واخرج من جيبه غلافاً من جلد وفتحهُ فاذا فيه رسمه ضمن إطار (برواز) مرصع
بالاوبال (حجر كريم) فقدمهُ الى الاميرة وقال : —

— هذه مني هدية قرانك السعيد فتفضلي بقبولها واعلمها تذكرك من هو مستمد على الدوام
ان يذل حريته بل يضحي حياته اذا مست الضرورة في سبيل اللود عن قرينك
— اشكر لك من صميم قوادي هذه الهدية التي اقدرها قدرها ولكن قل لي بربك لماذا
جعلتهم يرصعون اطار الرسم بهذا النوع من الحجارة الكريمة . اني اتساءم بكثيراً ولذا اخشى
الآن ان تعرفوا نكبة او نصاب باذي مفاجيء . اتول هذا وارجو ان تصفح عما تراه في من
الاستسلام الى الخرافات والاعتقاد بصحة مزاعم العامة

فقال زوجها : — حظي عنك الباطل فوحي جميع القديسين ان هذا الرسم جميل الى
الغاية وسيذخر عندنا كاثمن كنز

وبينا كان الثلاثة ينظرون الى الرسم معجبين بما في اطاره من الاتقان والاحكام اعترض
سكوتهم تلك قرعات عنيفة على الباب الخارجي وصوت صارخ في هدوء الليل : —
— افتح باسم جلالة القيصر :

ففتشهم صفرة الوجل واخذوا ينظرون بهضمهم الى بعض . ثم خف لادبلاز الى وضع
الرسم في جيبه وصاح دورسكي : —

— وحق السماء لقد برح الخفاف . ولكن لا يمكن ذلك . فحضور في هذا المكان لم
تحلم به نفس انسان ولا خطر على مال انس ولا جان . لا بأس . خبثي . اخبني عن النظر
فاسرع لادبلاز الى اطار احدي الصور الكبيرة المعلقة وادار لولبها فيه فافتحت الصورة
عن فراغ واسع وراها في الحائط واسر الى دورسكي قائلاً : —

— هنا الى هنا بالعجل ! لا تبدِ حراكاً

وما ابطاً دورسكي ان جمع اليه خرجه و ثياب التنكر التي دخل فيها وانسل الى مخبأه وقال لصديقه : —

— اياك ان تبه الافكار الى وجوي هنا بكلمة او نظرة فاني لا اؤخذ من هذا المكان حياً ثم اغلق لاديسلاز الصورة ورجع الى متكاو بجانب ابراهيم التي اغمي عليها من شدة الخوف واذ ذلك أعيد التفرع على الباب الخارجي وتكرّر الطلب : —
— اتج باسم جلالة القيصر :

فاجاب الامير بصوت عالٍ يكفي لاسماع من م خارجاً : —

— اتج الباب : فيلس من باعث يدعو سكان هذا البيت الى الخوف من حرس ايننا القيصر ثم ارتفع صوت وقع الطلّي وصليل الاسلحة في الرواق ودخل ديمتري كيراتيف فسأله الامير بلهجة العظمة : —

— ما المراد بهذا ؟ انظر كيف اخفت سرّي حتى كاد يقضي علينا من شدة الرعب . وما من ماوى عندنا لاهل الشبهات
— ان غرضي مع سموكم !

— معي انا ؟ وما هو ؟

— اني ما مورّ بالقبض عليك لسبب خيانتك ضد اقنوم جلالته المقدّس

— خيانتك ؟ مني انا ؟ وما هي هذه الخيانتك ؟

— خيانتك صداقة الكس دورسكي الثائر !

فجرت هذه الكلمات في سمع الاميرة الذاهبة فريسة الاغواء نظير مجرى كهربائيّ تبه ادراكها واعاد لها رشادها فصاحت : —

— ليس هو هنا ليس هو هنا !

فاجابها رئيس البوليس : —

— نعم ليس هو عندكم وادارة البوليس مطلعة على حركاتك وتعلم اين هو الآن ولكن

الامير مشكوك بكتاب جهه من دورسكي وهو الآن في ادارة البوليس

فسأله الامير : —

— كيف امكن —

فاعترضه رئيس البوليس : —

— لسنا الآن في معرض التحقيق وعلى سموك ان تبصني في الحال
اني مستعد لذلك

وهم ان يتعمد لولا انه خطر بياله رسم دورسكي الذي في جيبه فمد يده الى حيث الرسم
باسرع من ثوب السهم لكن عين رئيس البوليس الحادة كانت لتأثر كل حركاته فلما رآه يمد
يده فانه يحاول اخراج آلة حادة ثم يستعين بها على الدفاع عن نفسه فهجم عليه ونادى الجند
الواقف خارجاً فلباه اثناث واتفقاً على الامير رشداً وثاقه ثم دنا رئيس البوليس منه ومد
يده الى جيبه فأخرج الصورة وصاح : —

— ما حاجتنا بعد الى شهود . يكفيننا ان الامير حامل رسم ذلك الثلاثين فلم بنا
فاجابه الامير : —

— دع رجالك يذهبون يا كيراتيف فان لي شيئاً اقوله لك

فامرهم كيراتيف بالانصراف ولما خرجوا سأله الامير : —

— الى اين قضي علي بالذهاب ؟

— الى قلعة شلبرج

فراخ الامير هذا الخبر لكنه تغلب على روعه فأخفاه وقال متجلاً : —

— يا كيراتيف كلانا يعلم ما وراء الذهاب الى هذه القلعة . وهذه السيدة امرآتي فدعني

اكملها خمس دقائق فقط وما اظنك تبخل علي بهذا الامر واعدك بشرفي اني انتظرك دنا

فاجابه رئيس البوليس متأثراً

— ليكن لك ما طلبت فما انا ذاهب وبعد خمس دقائق اعود

ولما خرج دنا الامير من زوجته وقال لها : —

— نادين حبيبي نادين انظري . لا بأس مما حدث فانهم لم يقفوا على خبر وجوده هنا .

وبعد خروجي من هنا ساعدي على النجاة واخبرني بان التبييض علي حدث بدسياسة جون فاين

لا في اذنته هذا المساء في النادي . فان اصابي اذى فتولي له ان ينتم لي ولك واطلبي اخي

كاريتا فانها تعني بك مدة سجن . تشجعي ولا تخافي

واخذ يحاول تعزيبها وقد نسي ان الخمس دقائق في مثل هذه الحالة تمر اسرع من ثانية

فرجع نظره واذا بكيراتيف واقف بالباب فهض وخرج معه

ولما خرجا الى الشارع صعد به رئيس البوليس الى مركبة كانت تنتظره وامر سائقها

فسارت ووراءها فارسان يتبعانها وبعد ساعة بلغت بهما قلعة شلبرج

الفصل الرابع

زعم نيهلست

اما الكس دورمكي فبعد ما تحقق ذهاب رئيس البوليس فتح اطار الصورة وخرج ثم دنا من السرير الذي كانت الاميرة مطروحة عليه بلا حراك فحنا بجانبه وقال لها : —

— اتوسل اليك ايتها الاميرة ان اسمعي كلامي فان الليل اخذ يتناهي وصرت مضطراً ان اذهب فانهمضي وارعيني سمحك

فحاولت الاميرة الجلوس بكل صعوبة ولما وقعت عينها على عيني ذلك النيهيلستي اشاحت عنه مذعورة وصرخت : —

— اليك عني دعني وشأني لا استطع ان اراك لانك كنت سبب القبض علي
— كلاً ايتها الاميرة لم يقبض علي بسببي بل بمكيدة كيدت له هذه الليلة . واني اقسم لك بتقدس القديسين وبالحرية التي وقتت نفسي على الذود عن حرمتها والدفاع عن ذمارها لا تأثرن زوجك ثأراً ترتعد لهول فرانس الالسن والجان وانتقمين له انتقاماً لم تسمع به اذن ولا خطر على بال انسان

— نعم نعم فقد اوصاني ان اخبرك بان الذي نصب له هذه المكيدة رجل انكليزي يدعى جون فاين فاحلف لي نشدتك الله احلف لي انك اذا قتلتوا لاديسلاز تطالب بدمي

— اقسم لك اني انقطع للانتقام منه الى آخر نسمة من حياتي

— شكراً لك — شكراً . ولكن آه أي المر —

ثم ارتج عليها فوارت وجهها بين يديها وعادت الى ما كانت عليه قبلما اقترب الكس اليها فوقف ينكر في امرها وقلبه يكاد ينفطر حزناً على شقاء حالها . ثم حدثته نفسه بوجوب السعي في اتقاذ صديقه ان ابقوه حياً الى الصباح فساء لها : —

— قولي لي اما من صديقه لك فادعوها اليك ؟

فاجابته بانفاس يقطعها التنهد والابن : —

— بلى كاريتا

فنهض ولبس ثياب التنكر وخرج بهم تحت ذبول الليل وبعد ساعة اوقف حارس قصر غالترن بقرع على الباب فغاطب الطارق بلسان الغيظ والحنق : —

— صعدتكم الصاعقة . فماذا تريد في مثل هذا الوقت ؟

— باسم جلالة الفيصر وأمر البوليس السري ارفع كتاباً الى سمو الاميرة كاريتا الكسدروثنا .
 فهرول الحارس الى فتح الباب واذا الشيخ يحمل خرجاً وقف امامه وقال له : —
 — سلم هذه الرسالة الى احدى اماء الاميرة في الحال . ينبغي ان تلبسها على الفور اقمتم ؟
 فاجابه الحارس صاغراً وقد ظنّه احد البوليس السري متكرراً : —

— امرك يا صاحب السمو

وبعد نحو ساعة قامت مركبة الاميرة كاريتا غالتزن تنهب الارض عادية بها الى جبة نهر
 نيفا وكان ذلك قبل طلوع النهار بثلاث ساعات . اما الشيخ فبعدهما ادى الرسالة قتل راجعاً
 وعطف نحو ساحة القديسة كاترينا حيث كانت اربع مركبات واقفة تنتظر ركاباً ولما اجتاز
 سائقها الذين كانوا يسمعون عند باب للتدخين وضع احدى يديه على نغذه وادلى اصابعها
 ورفع الثانية الى اذنه وفاء بالتحية المعتادة فاجابه احد من اماءه "جيد" وظلّ الشيخ سائراً
 في طريقه واسرع السائق الذي اجابه على تحيته الى مركبته وجرى بها يتأثره فاجتازهُ عند
 مصباح فأعاد عليه الشيخ الاشارة التي ابداحا له اولاً فدنا منه ببركته قليلاً فقال له الشيخ : —

— ما اجلبها ليلاً

— ما اتق الهواء

— ان الهواء روسي

— يجب ان يستشفة الناس

ثم نطق الشيخ بهذه الكلمة "خورسكو" فزاد السائق اتقاربا منه حتى التصق به فعمد
 الشيخ الى المركبة وسارت به حتى بلغت منعطفاً في الطريق ف اشار الشيخ الى السائق بالتوقف
 فامثل وخرج الشيخ من المركبة ودنا من السائق وراه اطاراً صغيراً من ذهب مشوشاً عليه
 صليب احمر فهمس السائق : —

— يا ماري تقولا لهذا الرئيس !

ثم انحنى امامه بيزيد الاكرام وخاطبه بكل احترام : —

— بماذا ياسر مولاي ؟

— ان احد سائقي مركبات الاجرة ذهب في هذا الليل بأسير الى احدى القلاع فليك ان

تأتي به الساعة العاشرة صباحاً الى حيث أعين لك في هذه الورقة

ثم رقم له على قطعة ورق بضع كلمات تمكن السائق من تلاوتها جيداً على نور المصباح وموَّظها

على الاثر وقال : —

— سأتى به الى مولاي في المكان المحدد والوقت المحدد

— حسن . سلام وحرية

— امين . حرية وسلام

وفي اليوم التالي جلس الكس دورسكي في الوقت المعين امام موقدة في غرفة من احد احياء بطرس برج القديمة وهو مضطرب البال مشتمت الافكار ولما صارت الساعة العاشرة دخل السائق الذي لقيه امس في شارع نيوسكي يعجب سائق آخر وهو الذي كان موضوع كلامنا في اول هذه القصة . وبعد ما أتى عليه دورسكي نظرة التفتيش والانتقاد وعرض عليه بعض الرموز والاشارات وتحقق أنه من اتباعه قل : —

— هل استخدمك البوليس امس ؟

— نعم يا صاحب السمو

— الى اية قعة سرت بالاسير ؟

— الى قلعة شلسبرج

— هل تعلم شيئاً من امر القبض عليه ؟

— في اول المساء استأجرتني رجل غريب فسرت به الى اول شارع نيوسكي وهناك طلبت الاجرة فبادرتي بضربة من عصاه وهذا اثرها . ثم لقيه كيراتيف وبعد انترافهما دعاني رئيس البوليس فذهبت به الى مركز الادارة ثم الى نهر نيفا ثم سرت بالامير الى القلعة . آه مهلاً ايها الكلب الغريب سوف انتقم منك !

— هل دعا كيراتيف ذلك الغريب باسمه ؟

— نعم يا صاحب السمو وهو — هو — نان —

— جون فاين ؟

— نعم نعم هو بعينه

— يكني . سلام وحرية

— امين . حرية وسلام

ثم انصرف السائقان وبقي دورسكي وحده فقال : —

— والآن يا جون فاين . بقي ان الامر المنصر فيما بيني وبينك . فاحذر ان أصيب

لاديسلاز غالتزن باذي في قلعة شلسبرج . نعم احذر كل الحذر فان الارض بها رجبت أفتيت من ان تواريك عن النظر

النصل الخامس

الاميرة كارلينا

وبعد يومين جلست الاميرة كارلينا غالتزن في احدى غرف قصرها السفلى ناكسة الرأس مشتتة الحواس قريحة الاجضان اليفة الاحزان وهي تُعيد النظر مرة بعد اخرى في مستودع اوراقها بلهفة واحتمام لا مزيد عليها لعابها تظفر بما انتقطعت للتفتيش عنه . ثم سمعت وقع اقدام في الدار واذا بباب الغرفة انتتح وجون فاين داخل بغير استئذان وبعد ما جلس قال مفتتحاً كلامه : —

— كنت انتظر من لطف الاميرة ان ترسل وتدعو عيدها المطيع بعد غيابها عنها ثانيا واربعين ساءة . فاذا حدث جديداً واي امر خطير جرى فشغل الاميرة عني . قال هذا مبالغا في شكر ما شاء ومتاهياً في المكر والسماء . فاجابته مطرقة مفرضة : —
— كنت عندما ذهباً فريسة مكيدتك وهما الآن على فراش النزاع يجرعان غصص الردى اليوم او غدا

— اليك ايها الاميرة عن المجاز ولا تكلميني بالاناز

— ليس في كلامي شيء من الغموض والخفاء بل هو غاية في الصراحة والجلالة . اما وانت الجاني على امراتك وضللها جنابة لا تغتفر لمجرد حب الانتقام من رجل لم يوقع بك اقل ضرر . وليس له ذنب ولا جريمة سوى اطلاقه على دخيلة تنسك الاثيمة
— لا اعلم ما تعنين بهذا فلم اركب قط جنابة ولا سمعت باحد
— اعني أنك سمعت في التبض على اخي بواسطة كتاب استودعته وانت سرقته من هذا المكان شأن لطانة الاندال

— يسؤني ولا شك ان يسوء مدير اخيك . على ان من كان ذاعلاقة مع الخائنين المؤتمرين على التيصير ليس له ان يتزوج ولا سيما هذا الزواج السري
فبهضت الاميرة وودت منه وقالت : —

— من اعلمك اني اتكلم عن امرأة اخي ؟

فادرك خطأ واجابها : — لم اعلم ولكن ظننت ومن شدة هياجك استنجت ان —
فاعترضته وقالت : — اي جون فاين خل عنك الكذب والبهتان لم انتظر منك رفقا ولا رحمة لاني است اجهل قسوتك وشراستك . ولكني انجمل — نعم انجمل عنك الى حد اني انجمل منك فاذا فعلت بالرقيم ايها الوغد . فقال

— اخشى ايها الاميرة ان يقول بنا هذا المشهد الى ما لا نشتهيهِ وبتعمُّدٍ علينا تلافيدٍ فان كان اخوك قد أخذ بجنياته نفسه فذلك يشقُّ عليَّ جداً لانه سيعود عليك بتأجج محرقة وان كان خرقه ونزفه حملاه على عقد زواج سري فذلك ايضاً يسوّني بالنظر الى سوء عاقبته على سريته . وان كانت قد ماتت كما ذكرتِ فذلك خيرٌ لها وابق من ان تعيش قرينة رجل منفيٍّ في سيبيريا
— يا لك كلباً

— احذري ايها الاميرة فاني لست متعوداً الصبر على مثل هذا الامتحان ولست بصالحٍ عمن بتعمده نخوي ولو كان حوايك استمتت ؟ لا اعنوا ولا اصغح . وهل تظنين اني رجل حلوا التذاق يسهل العث به على من يريد ؟ او نيت اني قبل الان برهنت لك فساد هذا الظن باجلى بيان ؟ فتذكرني ان تمتع الذكرى واحذري ان تعودي الى مثل هذا التعدي فاشارت بيدها الى الباب وقالت : —

— اذهب عني يا أشام من اليوم ولا تدعني بعد أرى وجهك المشوم وتمسك المطبوعة على الخساسة واللؤم . اذهب والأمرت خادمي ان يأتي ويخرجك مصفوحاً يده مرفوساً برجله . او تظني انا — انا كاريتا غالتزن — ارحب جانبك يا جاسوس البوليس ؟ ساء فألك وخذل شأنك . اسمعني ؟ انا انا المطالبة بما يصيبك من الامتحان ان لم تقرب عني — أرى على كل انه لا فائدة من هذه المشاحنة ومن الصواب حسبها الآن ريثما يكن جانبك وتصحيحين قادرة على الاصفاء الى دفاعي عن نفسي . لاني انكر كل هذه التهمة وسوف يبرهن لك المستقبل صدق كلامي ويكون الاخبار اكبر مدافع عني واعظم محام والآب استودعك الله على رجاء ان تكوني في المرة التالية ارق جانباً واسهل مراساً ولقد عذرتك على ما فرط منك بغير الناس من عذر

قال هذا وخرج يعضر باذيال الخزي والحجل ولما خلت الاميرة بنفسها عادت الى ما كانت عليه فاخفت وجهها بين يديها ووصلت سلسلة افكارها التي قطعها قدم جون فاين . ثم نهضت واستعدت للخروج من القصر عازمة على السعي في الاجتماع باخيها كيف كان الامر غير جاهلة صعوبة الموانع التي تقبل دون وصولها الى مطلوبها فقضت ذلك اليوم جائلة في دوائر الحكومة العليا من عند وزير الى آخر حتى التمت اخيراً فأجيز لها ان تقابل القيصر نفسه وما خيم الليل الا كانت مسلحة باوامر عالية تأذن لها في المرور الى قلعة شلسبرج معصوبة برئيس البوليس الحربي